الباب الثانى

الخسران

فى ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول

مقدمات للموضوع

المطلب الأول

تعريف الخسران فى اللغة والاصطلاح

تعريف الخسران فى اللغة :

خسر: خسر خسرا :ترك مصدرين خسرا بضم فسكون وخسرا بضمتين كما فى القاموس وخسرا وخسرانا وخسارة وخسارا فهو خاسر وخسر كله ضل والخسار والخسارة والخيسرى الضلال والهلاك[١].

الخسر والخسران : انتقاص رأس المال ،وينسب ذلك إلى الإنسان ،فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال : خسرت تجارته ، ويستعمل ذلك فى المقتنيات الخارجة كالمال والجاه فى الدنيا وهو الأكثر ، وفى المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذى جعله الله هو الخسران المبين، وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝ ﴾ [الرحمن] ، إشارة إلى تحرى العدالة فى الوزن ،وترك الحيف فيما يتعاطاه فى الوزن ،ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطى مالا يكون به ميزانه فى القيامة خاسرا ،وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله تعالى فى القرآن فهو على هذا المعنى الأخير[٢].

---

(١) لسان العرب :٤/ ٢٣٨.

(٢) مفردات الراغب : ٢٨٢ .

تعريف الخسران فى الاصطلاح :

قال القفال -رحمه الله : الخاسر :اسم عام يقع على كل من عمل عملا لا يجزى عليه [١].

وقال ابن جرير -رحمه الله - الخاسرون: جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم وحظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته، كما يخسر الرجل فى تجارته بأن يوضع من رأس ماله فى بيعه، وكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله إياه رحمته التى خلقها لعباده فى القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته [٢].

من معانى الخسران كما وردت فى الاستعمال القرآنى :

١- الخسران والخسر: **النقص**[٣]. ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝ ﴾ [الرحمن] ، أي: ولا تنقصوا الميزان[٤]، وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝ ﴾ [الحج] أى النقصان المبين[٥].واحتمل البعض أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝ ﴾ [الرحمن] إشارة إلى تحرى العدالة فى الوزن، أو إشارة إلى تعاطى ما لا يكون به ميزان المرء فى القيامة خاسرا[٦]. فيكون معنى الآية: لا تخسروا الثواب الموزون يوم القيامة[٧].

٢- الخسران والخسر: **الضلال**[٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

---

(١) تفسير الرازى :١/ ٤٢٦.
(٢) ابن كثير :١/ ٢١١.
(٣) لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٩٠«خسر»، المفردات للراغب الأصفهانى: ١٤٧.
(٤) قاموس القرآن للدامغانى: ١٥٧.
(٥) مجمع البحرين للطريحى ١:٥١١.
(٦) المفردات: ١٤٨.
(٧) مجمع البحرين : ٥١١ .
(٨) قاموس القرآن: ١٥٧.

مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [العصر] يعني: لفى ضلال.

٣- الخسران: **الغبن**، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الزمر: ١٥] ، يعني: غبنوا أنفسهم فصاروا إلى النار، وغبنوا أهليهم فى الجنة ـ يعنى الأزواج والخدم ـ فصاروا لغيرهم[١].

٤- الخسران: **الإهلاك**، ومنه قوله تعالى:﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة] ، أى: أهلكوا أنفسهم، فهم بمنزلة من هلك رأس ماله[٢].

٥- **العقوبة** : منه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما : كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر، فإنما يعنى به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعنى به الذنب[٣].

---

(١) قاموس القرآن: ١٥٧.

(٢) تفسير مجمع البيان، للطبرى: ١/ ١٦٨.

(٣) تفسير الطبري:١/ ٤١٧ ، وهى كلية من الكليات التفسيرية المطردة .

المطلب الثانى

الخسران المبين

قال الرازى –رحمه الله : فلنبين كون الخسران خسرانا مبينا ، وأقول: نفتقر إلى بيان أمرين إلى أن يكون خسرانا ثم كونه مبينا :

أما الأول : فتقريره أنه تعالى أعطى هذه الحياة وأعطى العقل ، وأعطى المكنة وكل ذلك رأس المال ، أما هذه الحياة فالمقصود منها أن يكتسب فيها الحياة الطيبة فى الآخرة.

وأما العقل فإنه عبارة عن العلوم البديهية وهذه العلوم هى رأس المال والنظر ، والفكر لا معنى له إلا ترتيب علوم ليتوصل بذلك الترتيب إلى تحصيل علوم كسبية ، فتلك العلوم البديهية المسماة بالعقل رأس المال وتركيبها على الوجوه المخصوصة يشبه تصرف التاجر فى رأس المال وتركيبها على الوجوه بالبيع والشراء ، وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح ، وأيضا حصول القدرة على الأعمال يشبه رأس المال ، واستعمال تلك القوة فى تحصيل أعمال البر والخير يشبه تصرف التاجر فى رأس المال ، وحصول أعمال الخير والبر يشبه الربح ، إذا ثبت هذا فنقول : إن من أعطاه الله الحياة والعقل والتمكن ، ثم إنه لم يستفد منها لا معرفة الحق ولا عمل الخير ألبتة كان محروما عن الربح بالكلية ، وإذا مات فقد ضاع رأس المال بالكلية فكان ذلك خسرانا، فهذا بيان كونه خسرانا .

وأما الثانى : وهو بيان كون ذلك الخسران مبينا فهو أن من لم يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والمضار ، فهذا كما لم يحصل له مزيد نفع لم

يحصل له أيضا مزيد ضرر ، أما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التى هى رأس مالهم فى استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات ، واستعملوا قواهم وقدرهم فى أفعال الشر والباطل والفساد ، فهم قد جمعوا بين أمور فى غاية الرداءة:

أولها : أنهم أتعبوا أبدانهم وعقولهم طلبا فى تلك العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة.

وثانيها : أنهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال من غير فائدة .

وثالثها : أن تلكَ المتاعب الشديدة التى كانت موجودة فى الدنيا فى نصرة تلك الضلالات تصير أسبابا للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت ، وعند الوقوف على هذه المعانى يظهر أنه لا يعقل خسران أقوى من خسرانهم ، ولا حرمان أعظم من حرمانهم ، ونعوذ بالله منه[1].

(١) تفسير الرازى :١٣/ ٢٤٠ .

المطلب الثالث

الخسران فى الاستعمال القرآني

خسر	٧
خسروا	٨
يخسر	١
تخسروا	١
يخسرون	١
خسر	١
خسرا	١
خاسرون	١٤
خاسرين	١٨
خاسرة	١
خسارا	٣
الخسران	٢

خُسْرَانًا	١
الأَخْسَرُونَ	٢
الأَخْسَرِينَ	٢
تَخْسِيرٍ	١
الْمُخْسِرِينَ	١
جملة	٦٥

خَسِرَ فى الاستعمال القرآني

الآية	ك/ م	رقمها	السورة	نص الآية
١١٩	م	٤	النساء	﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾
٣١	ك	٦	الأنعام	﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾
١٤٠	ك	٦	الأنعام	﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾
٤٥	ك	١٠	يونس	﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾
١١	م	٢٢	الحج	﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾

الآية	ك/م	رقمها	السورة	نص الآية
٧٨	ك	٤٠	غافر	﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾
٨٥	ك	٤٠	غافر	﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾
١٢	ك	٦	الأنعام	﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
٢٠	ك	٦	الأنعام	﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
٩	ك	٧	الأعراف	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾
٥٣	ك	٧	الأعراف	﴿ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢١	ك	١١	هود	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
١٠٣	ك	٢٣	المؤمنون	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾
١٥	ك	٣٩	الزمر	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

الآية	ك/ م	رقمها	السورة	نص الآية
٤٥	ك	٤٢	الشورى	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾
٢٧	ك	٤٥	الجاثية	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
٩	م	٥٥	الرحمن	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾
٣	ك	٨٣	المطففين	﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾
٢	ك	١٠٣	العصر	﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾
٩	م	٦٥	الطلاق	﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾
٢٧	م	٢	البقرة	﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
١٢١	م	٢	البقرة	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾
٩٠	ك	٧	الأعراف	﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾
٩٩	ك	٧	الأعراف	﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

الآية	ك/ م	رقمها	السورة	نص الآية
١٧٨	ك	٧	الأعراف	﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾
٣٧	م	٨	الأنفال	﴿ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾
٦٩	م	٩	التوبة	﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾
١٤	ك	١٢	يوسف	﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
١٠٩	ك	١٦	النحل	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾
٣٤	ك	٢٣	المؤمنون	﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾
٥٢	ك	٢٩	العنكبوت	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾
٦٣	ك	٣٩	الزمر	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾
١٩	م	٥٨	المجادلة	﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾
٩	م	٦٣	المنافقون	﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

الآية	ك/ م	رقمها	السورة	نص الآية
٦٤	م	٢	البقرة	﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾
٨٥	م	٣	آل عمران	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾
١٤٩	م	٣	آل عمران	﴿ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾
٥	م	٥	المائدة	﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾
٢١	م	٥	المائدة	﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾
٣٠	م	٥	المائدة	﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
٥٣	م	٥	المائدة	﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٣	ك	٧	الأعراف	﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾
٩٢	ك	٧	الأعراف	﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾
١٤٩	ك	٧	الأعراف	﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الآية	ك/ م	رقمها	السورة	نص الآية
				ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾
٩٥	ك	١٠	يونس	﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾
٤٧	ك	١١	هود	﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾
١٥	ك	٣٩	الزمر	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾
٦٥	ك	٣٩	الزمر	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾
٢٣	ك	٤١	فصلت	﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾
٢٥	ك	٤١	فصلت	﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾
٤٥	ك	٤٢	الشورى	﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾
١٨	ك	٤٦	الأحقاف	﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

الآية	ك/م	رقمها	السورة	نص الآية
١٢	ك	٧٩	النازعات	﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾
٨٢	ك	١٧	الإسراء	﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾
٣٩	ك	٣٥	فاطر	﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾
٢١	ك	٧١	نوح	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾
١١	م	٢٢	الحج	﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾
١٥	ك	٣٩	الزمر	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾
١١٩	م	٤	النساء	﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾
٢٢	ك	١١	هود	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
٥	ك	٢٧	النمل	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ ﴾
١٠٣	ك	١٨	الكهف	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾
٧٠	ك	٢١	الأنبياء	﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

الآية	ك/ م	رقمها	السورة	نص الآية
٦٣	ك	١١	هود	﴿ فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾
١٨١	ك	٢٦	الشعراء	﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾

وردت كلمة (خَسِرَ) ومشتقاتها فى خمسة وستين موضعًا :

- تسعةُ عشر موضعًا فى القرآن المدنى .
- ستةُ وأربعون موضعًا فى القرآن المكى .

وقفات مع الآيات :

١ - أن الله -ﷻ- يذكر من الألفاظ العربية ما يكون معروفًا فى البيئة العربية حتى يسهل فهمه ، والبيئة العربية كانت مشتهرة بالتجارة فتعلم معنى الخسارة والخسران، وتعرف معنى (الميزان) ، وخفته وثقله .

٢- أوضحت الآيات أن لفظ الخاسر يطلق على الكافر والمنافق ، وأن المسلم لا ينفك من (خُسْر) ؛ لأن ترك الأعلى والاقتصار بالأدنى من الطاعات نوع خسران.

٣- من سنن الله فى الأمم السالفة :

- عدم قبول الإيمان مع اليأس ؛لأنه إيمان ضرورة ، أما الإيمان النافع

الذى ينجى صاحبه هو الإيمان الاختيارى .

- (الخُسْر) سنة الله فى الأمم العاتية ﴿ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الطلاق ٨] .

- سنة الله فى خسارة الأمم هى إضاعة استقلالها وسلطان أمة أخرى عليها تستذلها وهو الواقع الآن فى حياة الأمة الإسلامية .

- سنة الله الحُكم فى الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة ، وهذا يطبق على الأفراد والأمم ، فيحكم سبحانه فى الشيء خلقًا وأمرًا بحكم مثله ،وهذا ما يسمى بقانون التماثل .

٤- حذّرَ الله المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين ؛ لأن طاعتهم تورث الخسران فى الدنيا والآخرة .

٥- قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [فصلت: ٢٥] ، دليل على تكليف الثقلين وتعلق الأمر والنهى بهم ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم.

٦- بالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين .

٧- وجوب الوفاء بالعهد والتزامه ،وكل عهد جائز ألزمه المرء نفسه فلا يحل له نقضه سواء أكان بين مسلم أم غيره لذم الله تعالى من نقض عهده .

٨- أن الذين خسروا أنفسهم:

- خسروها بالهلاك الدائم الذى حصل لهم بسبب الكفر .

- خسروا أنفسهم وأهليهم بأن ورَّث منازلهم فى الجنة غيرهم .

٩- أن المؤمنين يوم القيامة يقولون : ﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الشورى: ٤٥] ، تحدثًا بالنعمة واغتباطًا بالسلامة ،وهذه المقولة تزيد الظالمين ندامة ومهانة وخزى .

١٠-المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِق وَجِل خائف من الخسران، والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن.

١١-وصف الخسران بالمبين فى ثلاث آيات، وهو خسران النفس، والأهل، وخسران الدنيا والآخرة .

المبحث الثانى

أسباب الخسران

أولا : اتخاذ الشيطان وليا :

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء] .

أي: فقد خسر الدنيا والآخرة، وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتها[١].

واعلم أن أحدا لا يختار أن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ، ولكن المعنى أنه إذا فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به صار كأنه اتخذ الشيطان وليا لنفسه وترك ولاية الله تعالى ، وإنما قال: ﴿ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾لأن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر ، وطاعة الشيطان تفيد المنافع المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والآلام الغالبة ، والجمع بينهما محال عقلا ، فمن رغب فى ولايته فقد فاته أشرف المطالب وأجلها بسبب أخس المطالب وأدونها ، ولا شك أن هذا هو الخسار المطلق[٢].

وأى خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير :٢/ ٤١٦.
(٢) تفسير الرازى :٥/ ٣٨٧.
(٣) تفسير السعدي: ٢٠٣ .

ثانيا : التكذيب بيوم القيامة :

قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأنعام] .

والمقصود بـ﴿ بلقاء الله﴾: هو ظهور آثار رضاه وغضبه دون تأخير ولا إمهال ولا وقاية بأسباب عادية من نظام الحياة الدنيا ، فلما كان العالم الأخروى وهو ما بعد البعث عالم ظهور الحقائق بآثارها دون موانع ، وتلك الحقائق هى مراد الله الأعلى الذى جعله عالم كمال الحقائق ، جعل المصير إليه مماثلا للقاء صاحب الحق بعد الغيبة والاستقلال عنه زمانا طويلا ، فلذلك سمى البعث ملاقاة الله[١] ، فالذين كذبوا بلقاء الله هم الذين أنكروا البعث بعد الممات، والثواب والعقاب، والجنة والنار[٢]، عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ فى قوله:«يا حسرتنا» ، قال:«يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون: يا حسرتنا» [٣]، فهؤلاء قد خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله بالبعث بعد الموت،وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الأليم، فى دركات الجحيم.

ومن الكلمات التى حكاها الله تعالى عن منكرى البعث : ﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾[النازعات] والمعنى: كرة منسوبة إلى الخسران ، كقولك تجارة رابحة، أو خاسر أصحابها ، والمعنى: أنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا ،

---

(١) التحرير والتنوير :٤/ ٤٠٣.

(٢) تفسير الطبرى :١١/ ٣٢٤.

(٣) تفسير ابن أبى حاتم :قوله :حتى إذا جاءتهم الساعة ،(٧٢٦٠).

وهذا منهم استهزاء [١] ، فهى كرة لم يحسبوا حسابها ، ولم يقدموا لها زادها ، وليس لهم فيها إلا الخسران الخالص.

ثالثا : قتل الأولاد وتحريم رزق الله :

قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[الأنعام] .

يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم فى أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما فى الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم[٢].

عن ابن عباس، رضى الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام، ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[الأنعام] [٣].

فهؤلاء خسروا الخسارة المطلقة :

- خسروا فى الدنيا والآخرة .
- خسروا أنفسهم وخسروا أولادهم .
- خسروا عقولهم وخسروا أرواحهم .
- خسروا الكرامة التى جعلها الله لهم بإطلاقهم من العبودية لغيره؛ وأسلموا أنفسهم لربوبية العبيد؛ حين أسلموها لحاكمية العبيد! وقبل ذلك

---

(١) تفسير الرازى :١٦/ ٣٢٥.
(٢) تفسير الطبرى :٣/ ٣٤٧.
(٣) صحيح البخارى :جهل العرب (٣٢٦٢) .

كله خسروا الهدى بخسارة العقيدة، خسروا الخسارة المؤكدة، وضلوا الضلال الذى لا هداية فيه[١].

﴿ وحرموا ما رزقهم الله﴾ أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقا لهم، فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهى من أحل الحلال.

وكل هذا ﴿ افتراء على الله ﴾ أي: كذبا يكذب به كل معاند كفار، ﴿ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، ولم يكونوا مهتدين فى شيء من أمورهم[٢].

وذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا ينصرونهم، ولا يشفعون لهم ولا ينقذونهم مما هم فيه[٣].

رابعا : الردة[٤] :

قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ ﴾[النحل] .

أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم

---

(١) فى ظلال القرآن : ٣/ ١٦١.

(٢) تفسير السعدي: ٢٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير :٣/ ٤٢٦.

(٤) الردة لغة : الردة عن الإسلام أى: الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه،(لسان العرب : ٣/ ١٧٢.

عذابا عظيما فى الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئا، فهم غافلون عما يراد بهم.

(لا جرم) أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة[1].

صور من الردة فى العصر الحديث :

ظهرت صور للردة فى العصر الحديث :

١- مرتد فى نفسه .

٢- مرتد يدعو إلى الردة .

٣- ردة السلطان (الحاكم).

٤- ردة مغلفة .

يجب أن نفرق بين الردة الخفيفة التى لا يدعو صاحبها إلى الارتداد ويؤخذ فيها برأى عمر بن الخطاب -ﷺ- فيما روى البيهقي-رحمه الله- :« أن أنسا عاد من « تستر[2] » فقدم على عمر ، فسأله : ما فعل بالستة الرهط من بكر بن وائل الذين ارتدوا عن الإسلام ، فلحقوا بالمشركين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قوم ارتدوا عن الإسلام ، و لحقوا بالمشركين ، قتلوا بالمعركة .فاسترجع عمر (أى: قال : «إنا لله و إنا إليه راجعون) قال أنس : وهل كان سبيلهم إلا القتل ؟ قال:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣١٤.

(٢) تستر : أعظم مدينة بخوزستان اليوم.(معجم البلدان ،ج١/ ٤١٣).

نعم ، كنت أعرض عليهم الإسلام ، فإن أبوا أودعتهم السجن »[١]، وفى لفظ له : «يؤجل ما رجيت توبته»[٢].

والردة الغليظة هى التى يدعو صاحبها للارتداد بلسانه أو بقلمه - كردة سلمان رشدي[٣]- فالأولى فى هذه الحالة الأخذ برأى الجمهور ، وظاهر الأحاديث- القتل - استئصالا للشر ، وسدا لباب الفتنة ؛ لأن المرتد الداعية إلى الردة ليس مجرد كافر بالإسلام ، بل هو حرب على الإسلام وعلى أمته ، فهو مندرج ضمن الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا .

والمحاربة كما قال ابن تيمية -رحمه الله- نوعان :

الأول : محاربة باليد .

الثانى : محاربة باللسان .

والمحاربة باللسان فى باب الدين ، قد تكون أنكى من المحاربة باليد ، و لذا كان النبى ﷺ يقتل من كان يحاربه باللسان ، مع استبقائه بعض من حاربه باليد، وكذلك الإفساد قد يكون باليد ، وقد يكون باللسان ، وما يفسده باللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد .. «فثبت أن محاربة الله ورسوله باللسان أشد والسعى فى الأرض بالفساد أوكد »[٤].

والقلم أحد اللسانين ، كما قال الحكماء ، بل ربما أشد من اللسان وأنكى ، ولاسيما فى عصرنا لإمكان نشر ما يكتب على نطاق واسع.

---

(١) سنن البيهقى (٨/ ٢٠٧) .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ،ابن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلوانى ، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم – بيروت،ط: الأولى ، ١٤١٧هـ ،(ص ٣٢١) .

(٣) سلمان رشدى : كاتب بريطانى الجنسية، هندى الأصل، صنف روايته (آيات شيطانية) سخر فيها من الرسول ﷺ وأزواجه وأصحابه ﷺ واتهمهم بالسوء.

(٤)الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص٣٨٥ .

ردة السلطان :

تعتبر من أخطر أنواع الردة ردة السلطان ، ردة الحاكم ، الذى يفترض فيه أن يحرس عقيدة الأمة ، ويقاوم الردة ، ويطارد المرتدين ، ولا يبقى لهم باقية فى رحاب المجتمع المسلم فإذا هو نفسه يقود الردة ، سرا وجهرا ، وينشر الفسوق سافرا ومقنعا ، ويحمى المرتدين ويفتح لهم النوافذ والأبواب ، ويمنحهم الأوسمة والألقاب ويصبح الحال كما قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب ؟!

نرى هذا الصنف من الحكام مواليا لأعداء الله ، معاديا لأولياء الله ، مستهينا بالعقيدة ، مستخفا بالشريعة ، غير موقر للأوامر والنواهى الإلهية والنبوية ، مهينا لكل مقدسات الأمة ورموزها من الصحابة الأبرار ، والآل الأطهار ، والخلفاء الأخيار ، والأئمة الأعلام ، وأبطال الإسلام وهؤلاء يعتبرون التمسك بفرائض الإسلام جريمة وتطرفا ، مثل الصلاة فى المساجد والحجاب للنساء .

وهؤلاء يطاردون الدعاة الحقيقيين ، ويغلقون الأبواب فى وجه كل دعوة أو حركة صادقة تريد أن تجدد الدين ، وتنهض بالدنيا على أساسه [١] .

والسؤال : من الذى يحكم بردتهم ، وأجهزة الإفتاء الرسمى والقضاء الرسمى فى أيديهم؟

يقول الدكتور يوسف القرضاوي[٢] -حفظه الله : « ليس هناك إلا الرأى العام المسلم والضمير الإسلامى العام ، الذى يقوده الأحرار من العلماء

(١) ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ، ص ٤٢-٤٣ ،باختصار .
(٢) رئيس الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين ، و داعية إسلامى مصرى .

والدعاة وأهل الفكر ، والذى لا يلبث إذا سدت أمامه الأبواب ، وقطعت دونه الأسباب أن يتحول إلى بركان ينفجر فى وجوه الطغاة المرتدين ، فليس من السهل أن يفرط المجتمع المسلم فى هويته ، أو يتنازل عن عقيدته ورسالته التى هى سر وجوده ، وسر بقائه »[١].

الردة المغلفة :

إن صاحبها لا يعلن الكفر بواحا صراحا بل يغلفه بأغلفة شتى ، ويتسلل به إلى العقول تسلل الأسقام إلى الأجسام ، لا تراه حين يغزو الجسم ، ولكن بعد أن يبدو مرضه ويظهر عرضه ، فهو لا يقتل بالرصاص يدويا ، بل بالسم البطيء ، يضعه فى العسل والحلوى ، وهذا يدركه الراسخون فى العلم ، والبصراء فى الدين ، ولكنهم لا يملكون أن يصنعوا شيئا أمام مجرمين محترفين، لا يمكنون من أنفسهم ، ولا يدعون للقانون فرصة ليمسك بخناقهم ، فهؤلاء هم «المنافقون » الذين هم فى الدرك الأسفل من النار .

إنها الردة الفكرية التى تطالعنا فى صحف تنشر ، وكتب توزع ، ومجلات تباع وأحاديث تذاع ، وبرامج تشاهد ، وتقاليد تروج ، وقوانين تحكم .

إن الفريضة المؤكدة هنا ، هى : محاربتهم بمثل أسلحتهم ، الفكر بالفكر ، حتى تكشف أوراقهم ، وتسقط أقنعتهم ، وتزال شبهاتهم بحجج أهل الحق[٢].

قال تعالى :﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنبياء] .

---

(١) ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ، ص٤٤ .
(٢) المرجع السابق، ص ٤٥ .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد] .

خامسا : طاعة الذين كفروا :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

[آل عمران] .

«يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الردى فى الدنيا والآخرة»[١] . ويردوهم إلى الكفر بعد الإيمان ، لأن قبول قولهم فى الدعوة إلى الكفر كفر .

واللفظ يدخل فيه خسران الدنيا والآخرة :

- أما خسران الدنيا ، فلأن أشق الأشياء على العقلاء فى الدنيا الانقياد للعدو، والتذلل له، وإظهار الحاجة إليه .

- وأما خسران الآخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد، والوقوع فى العقاب المخلد[٢].

ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ففيه إخبار لهم بذلك، وبشارة بأنه سيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور. وفى ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده وليا وناصرا من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقى فى قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف

---

(١) تفسير ابن كثير :٢/ ١٣١.

(٢) تفسير الرازى : ٤/ ٤١١.

العظيم الذى يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى[1].

واقعنا المعاصر :

لقد انتهز المنافقون واليهود ما أصاب المسلمين من القتل والقرح -فى غزة -؛ ليثبطوا عزائمهم ويخوفوهم عاقبة السير مع المقاومة ويصوروا لهم مخاوف القتال وعواقب الاشتباك مع الأقوياء وحلفائهم ، وجو القتل والقرح هو أصلح الأجواء لبلبلة القلوب، وخلخلة الصفوف، وإشاعة عدم الثقة فى المقاومة ، والتشكيك فى جدوى الإصرار على المعركة مع الأقوياء-من وجهة نظر المتخاذلين- ؛ وتزيين الانسحاب منها ومسالمة الأقوياء فيها! مع إثارة المواجع الشخصية والآلام الفردية؛ وتحويلها كلها لهدم كيان المقاومة ثم لهدم كيان العقيدة ثم للاستسلام للأقوياء عتادا.

ومن ثم يحذر الله الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا ، فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة وليس فيها ربح ولا منفعة ، وفيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر . فالمؤمن إما أن يمضى فى طريقه يجاهد الكفر والكفار ويكافح الباطل والمبطلين وإما أن يرتد على عقبيه كافرا - والعياذ بالله - ومحال أن يقف سلبيا بين بين محافظا على موقفه ومحتفظا بدينه ، إنه قد يخيل إليه هذا ، يخيل إليه تحت وطأة الجرح والقرح أنه مستطيع أن ينسحب من المعركة مع الأقوياء الغالبين وأن يسالمهم ويطيعهم، وهو مع هذا محتفظ بدينه وعقيدته وإيمانه وكيانه! وهو وهم كبير . فالذى لا يتحرك إلى الأمام فى هذا المجال لابد أن يرتد إلى الوراء، والذى لا يكافح الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان لا بد أن يتخاذل ويتقهقر ويرتد على عقبيه إلى الكفر والشر والضلال والباطل

---

(١) تفسير السعدى : ١٥١.

والطغيان! والذى لا تعصمه عقيدته ولا يعصمه إيمانه من طاعة الكافرين والاستماع إليهم والثقة بهم يتنازل - فى الحقيقة - عن عقيدته وإيمانه منذ اللحظة الأولى ، إنها الهزيمة الروحية أن يركن صاحب العقيدة إلى أعداء عقيدته وأن يستمع إلى وسوستهم وأن يطيع توجيهاتهم . الهزيمة بادئ ذى بدء، فلا عاصم له من الهزيمة فى النهاية والارتداد على عقبيه إلى الكفر، ولو لم يحس فى خطواته الأولى أنه فى طريقه إلى هذا المصير البائس .

إن المؤمن يجد فى عقيدته وفى قيادته غناء عن مشورة أعداء دينه وأعداء قيادته .

إذا استمع إلى هؤلاء مرة فقد سار فى طريق الارتداد على الأعقاب . . حقيقة فطرية وحقيقة واقعية ينبه الله المؤمنين لها ويحذرهم إياها .

وأية خسارة بعد خسارة الارتداد على الأعقاب من الإيمان إلى الكفر؟ وأى ربح يتحقق بعد خسارة الإيمان؟[1].

وهنا يثار تساؤل : ما مبعث طاعة المؤمنين للذين كفروا ؟

وإذا كان مبعث الميل إلى طاعة الذين كفروا هو رجاء الحماية والنصرة عندهم فهو وهم .

فالجهة الوحيدة التى يطلب المؤمنون عندها الولاية ويطلبون عندها النصرة هو الله ،قال تعالى : ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران] ، ومن كان الله مولاه فما حاجته بولاية أحد من خلقه؟ ومن كان الله ناصره فما حاجته بنصرة أحد من العبيد؟[2].

---

(١) فى ظلال القرآن : ١/ ٤٦٦ .بتصرف يسير.

(٢) فى ظلال القرآن : ١/ ٤٦٦ .

سادسا : خفة الميزان :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف] ، **وقال تعالى** : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون] .

من خفت موازين أعماله الصالحة، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله، والإيمان به وبرسوله، واتباع أمره ونهيه، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته ، بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون، فلا يقرون بصحتها، ولا يوقنون بحقيقتها[١].

سابعا: من أضله الله ﷻ :

وقال تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف] .

يقول تعالى: من هداه الله فإنه لا مضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[٢].

فائدة :

فى الآية : تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال ، أى فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق[٣].

والله سبحانه يهدى من يجاهد ليهتدى ، كذلك ويضل الله من يبغى

---

(١) تفسير الطبرى :١٢/ ٣١٥.
(٢) تفسير ابن كثير :٣/ ٥١٢.
(٣) التحرير والتنوير :٦/ ١٦.

الضلال لنفسه ويعرض عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان ، ويغلق قلبه وسمعه وبصره دونها .

إن مشيئة الله سبحانه التى يجرى بها قدره فى الكائن الإنسانى ، هى أن يخلق هذا الكائن باستعداد مزدوج للهدى والضلال . . وذلك مع إيداع فطرته إدراك الحقيقة الربوبية الواحدة والاتجاه إليها ، ومع إعطائه العقل المميز للضلال والهدى . ومع إرسال الرسل بالبينات لإيقاظ الفطرة إذا تعطلت وهداية العقل إذا ضل . . ولكن يبقى بعد ذلك كله ذلك الاستعداد المزدوج للهدى والضلال الذى خلق الإنسان به ، وفق مشيئة الله التى جرى بها قدره .

كذلك اقتضت هذه المشيئة أن يجرى قدر الله بهداية من يجاهد للهدى ، وأن يجرى قدر الله كذلك بإضلال من لا يستخدم ما أودعه الله من عقل وما أعطاه من أجهزة الرؤية والسمع فى إدراك الآيات المبثوثة فى صفحات الكون ، وفى رسالات الرسل ، الموحية بالهدى .

وفى كل الحالات تتحقق مشيئة الله ولا يتحقق سواها ، ويقع ما يقع بقدر الله لا بقوة سواه ، وما كان الأمر ليكون هكذا إلا أن الله شاءه هكذا ، وما كان شيء ليقع إلا أن يوقعه قدر الله ، فليس فى هذا الوجود مشيئة أخرى تجرى وفقها الأمور ، كما أنه ليس هناك قوة إلا قدر الله ينشئ الأحداث . . وفى إطار هذه الحقيقة الكبيرة يتحرك الإنسان بنفسه ، ويقع له ما يقع من الهدى والضلال أيضا[1] .

وقال صاحب المنار :«من يوفقه الله سبحانه وتعالى لسلوك سبيل الهدى باستعمال عقله وحواسه ، بمقتضى سنة الفطرة وإرشاد الدين ، فهو المهتدى

(١) فى ظلال القرآن :٣/ ٣٢٥.

الشاكر لنعمه تعالى ، الفائز بسعادة الدنيا والآخرة ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون أى ومن يخذله بالحرمان من هذا التوفيق ، فيتبع هواه وشيطانه فى ترك استعمال عقله وحواسه فى فقه آياته تعالى وشكر نعمه ، فهو الضال الكفور الخاسر لسعادة الدنيا والآخرة ؛ لأنه يخسر بذلك مواهب نفسه التى كان بها إنسانا مستعدا للسعادة؛ فتفوته هذه السعادة فوتا إضافيا فى الدنيا وحقيقيا فى الآخرة[١].

ثامنا : من تلهيه أمواله وأولاده عن ذكر الله :

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾[المنافقون] .

والأموال والأولاد ملهاة ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ، ويدرك غاية وجوده ، ويشعر أن له هدفا أعلى يليق بالمخلوق الذى نفخ الله فيه من روحه ، فأودع روحه الشوق إلى تحقيق بعض صفاته الإلهية فى حدود طاقته البشرية . وقد منحه الأموال والأولاد ليقوم بالخلافة فى الأرض لا لتلهيه عن ذكر الله والاتصال بالمصدر الذى تلقى منه ما هو به إنسان[٢].

فائدة :

الآية : تحذير المؤمنين من أخلاق المنافقين وأمرهم بالإنفاق فى سبيل الخير.

تاسعا: الكفر والصد عن سبيل الله :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ

(١) تفسير المنار :٩/ ٣٤٩.
(٢) فى ظلال القرآن :٧/ ٢١٩.

تُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال] .

سبب النزول :

قال محمد بن إسحاق : لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية، فى رجال من قريش أصيب آباؤهم، وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا! ففعلوا. قال: ففيهم -كما ذكر عن ابن عباس -أنزل الله، عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ .

أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم،﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تجد شيئا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزى لهم فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزى الأبدى والعذاب السرمدي؛ ولهذا قال: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

الخاسرون على الإطلاق ، الخاسرون لكل شيء ، الخاسرون للدنيا

(١) تفسير ابن كثير :٤/ ٥٣.

والآخرة ، الخاسرون لأنفسهم وللهدى والاستقامة والطمأنينة والحق والنور .

إن الإيمان بالله كسب ، كسب فى ذاته ، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله ، إنه طمأنينة فى القلب واستقامة على الطريق ، وثبات على الأحداث؛ وثقة بالسند ، واطمئنان للحمى ، ويقين بالعاقبة ، وإن هذا فى ذاته لهو الكسب؛ وهو هو الذى يخسره الكافرون[١]، فحصر الخسارة فيهم؛ لأن خسرانهم عام فى كل أحوالهم؛ ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان؛ فمن لا إيمان له لا عمل له؛ وهذا الخسار هو خسار الكفر[٢].

والآية تقتضى أنه لا خاسر إلا الكافر ، وهذا يدل على أن كل من لم يكن كافرا فإنه لابد وأن يحصل له حظ من رحمة الله[٣].

عاشرا: نقض عهد الله وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد فى الأرض :

قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[البقرة] .

فكل عهد بين الله وبين هذا النموذج من الخلق فهو منقوض؛ وكل ما أمر الله به أن يوصل فهو بينهم مقطوع؛ وكل فساد فى الأرض فهو منهم مصنوع .. إن صلة هذا النمط من البشر بالله مقطوعة ، وإن فطرتهم المنحرفة لا تستقيم على عهد ولا تستمسك بعروة ولا تتورع عن فساد ، إنهم كالثمرة الفجة التى انفصلت من شجرة الحياة ، فتعفنت وفسدت ونبذتها الحياة ، ومن ثم يكون ضلالهم بالمثل الذى يهدى المؤمنين؛ وتجيء غوايتهم بالسبب الذى يهتدى به المتقون .

---

(١) فى ظلال القرآن :٥/ ٤٧٠.

(٢) تفسير السعدى : ٤٧.

(٣) الرازى :١٣/ ٢٨١.

وعهد الله المعقود مع البشر يتمثل فى عهود كثيرة :

- إنه عهد الفطرة المركوز فى طبيعة كل حى . . أن يعرف خالقه ، وأن يتجه إليه بالعبادة .

- و عهد الاستخلاف فى الأرض الذى أخذه الله على آدم .

- وهو عهوده الكثيرة فى الرسالات لكل قوم أن يعبدوا الله وحده ، وأن يحكموا فى حياتهم منهجه وشريعته . . وهذه العهود كلها هى التى ينقضها الفاسقون . وإذا نقض عهد الله من بعد ميثاقه ، فكل عهد دون الله منقوض . فالذى يجرؤ على عهد الله لا يحترم بعده عهدا من العهود .

(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) والله أمر بصلات كثيرة :

- أمر بصلة الرحم والقربى .

- وأمر بصلة الإنسانية الكبرى .

- وأمر قبل هذا كله بصلة العقيدة والأخوة الإيمانية ، التى لا تقوم صلة ولا وشيجة إلا معها . . وإذا قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد تفككت العرى ، وانحلت الروابط ، ووقع الفساد فى الأرض ، وعمت الفوضى .

(ويفسدون فى الأرض) : والفساد فى الأرض ألوان شتى ، تنبع كلها من الفسوق عن كلمة الله ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل . ورأس الفساد فى الأرض هو الحيدة عن منهجه الذى اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها . هذا مفرق الطريق الذى ينتهى إلى الفساد حتما ، فما يمكن أن يصلح أمر هذه الأرض ، ومنهج الله بعيد عن تصريفها ، وشريعة الله مقصاة عن حياتها ، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال ، وللحياة والمعاش؛ وللأرض كلها وما عليها من

ناس وأشياء ، إنه الهدم والشر والفساد حصيلة الفسوق عن طريق الله . . ومن ثم يستحق أهله أن يضلهم الله بما يهدى به عباده المؤمنين ، إنهم ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم ، ويستنفدون كيدهم ، فى الصد عن سبيل الله ، وفى إقامة العقبات فى وجه هذا الدين ، وفى حرب العصبة المسلمة فى كل أرض وفى كل حين .

إن المعركة لن تكف ، وأعداء هذا الدين لن يدعوه فى راحة ، ولن يتركوا أولياء هذا الدين فى أمن ، وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية ، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان؛ ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجرؤ عليها الطاغوت .

والله - سبحانه - ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة ، إنهم سينفقونها لتضيع فى النهاية ، وليغلبوا هم وينتصر الحق فى هذه الدنيا ، وسيحشرون فى الآخرة إلى جهنم ، فتتم الحسرة الكبرى .

إن هذا المال الذى ينفق يؤلب الباطل ويملى له فى العدوان؛ فيقابله الحق بالكفاح والجهاد؛ وبالحركة للقضاء على قدرة الباطل على الحركة . . وفى هذا الاحتكاك المرير ، تنكشف الطباع ، ويتميز الحق من الباطل ، كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل - حتى بين الصفوف التى تقف ابتداء تحت راية الحق قبل التجربة والابتلاء - ويظهر الصامدون الصابرون المثابرون الذين يستحقون نصر الله ، لأنهم أهل لحمل أماناته ، والقيام عليها ، وعدم التفريط فيها تحت ضغط الفتنة والمحنة ، عند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث ، فيلقى به فى جهنم . . وتلك غاية الخسران ، والتعبير القرآنى يجسم الخبيث حتى لكأنه جرم ذو حجم ، وكأنما هو كومة من الأقذار ، يقذف بها فى النار ،

دون اهتمام ولا اعتبار [١].

حادى عشر : الآمن من مكر الله :

قال تعالى :﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف] .

أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم فى حال سهوهم وغفلتهم ؛ ولهذا قال الحسن البصري، رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن[٢]، وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم ، فلا يخافونه ، ومن هذه سبيله ، فهو أخسر الخاسرين فى الدنيا والآخرة ، لأنه أوقع نفسه فى الدنيا فى الضرر ، وفى الآخرة فى أشد العذاب[٣] لأنهم باطمئنانهم إلى السلامة الحاضرة ، وإعراضهم عن التفكر فيما يعقبها من الأخذ الشبيه بفعل الماكر قد خسروا الانتفاع بعقولهم وخسروا أنفسهم [٤].

وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغى له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وألا يزال داعيا بقوله: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك**) [٥] وأن يعمل ويسعى، فى كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد - ولو بلغت به الحال ما بلغت - فليس على يقين من السلامة[٦]، فما

---

(١) فى ظلال القرآن :٢/ ٣٩٩.

(٢) تفسير ابن كثير : ٣/ ٤٥١.

(٣) تفسير الرازى :٧/ ١٩٥.

(٤) تفسير التحرير والتنوير : ٥/ ٣٩٣.

(٥) سنن الترمذى : ما جاء أن القلوب بين أصبعى الرحمن ،(٢٠٦٦)، حديث حسن .

(٦) فى ظلال القرآن : ١/ ٢٩٨.

وراء الأمن والغفلة والاستهتار إلا الخسار ، وما يغفل عن مكر الله هكذا إلا الذين يستحقون هذا الخسار [١].

ثانى عشر : النفاق :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج] .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقال مجاهد فى قوله: (انقلب على وجهه) أي: ارتد كافرا، وقوله: (خسر الدنيا والآخرة) أي: فلا هو حصل من الدنيا على شيء، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم، فهو فيها فى غاية الشقاء والإهانة؛ ولهذا قال: (ذلك هو الخسران المبين) أي: هذه هى الخسارة العظيمة، والصفقة الخاسرة[٢].

إن العقيدة هى الركيزة الثابتة فى حياة المؤمن ، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التى لا تتزعزع؛ وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التى لا تحول ولا تزول .

هذه قيمة العقيدة فى حياة المؤمن ، ومن ثم يجب أن يستوى عليها ، متمكنا

---

(١) فى ظلال القرآن : ٣/ ٢٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير : ٥/ ٤٠١.

منها ، واثقا بها ، لا يتلجلج فيها ، ولا ينتظر عليها جزاء ، فهى فى ذاتها جزاء ، ذلك أنها الحمى الذى يلجأ إليه ، والسند الذى يستند عليه ، أجل هى فى ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور ، وطلبه للهدى ، ومن ثم يهبه الله العقيدة ليأوى إليها ، ويطمئن بها ، هى فى ذاتها جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله ، تتجاذبهم الرياح ، وتتقاذفهم الزوابع ، ويستبد بهم القلق، بينما هو بعقيدته مطمئن القلب ، ثابت القدم ، هادئ البال ، موصول بالله ، مطمئن بهذا الاتصال .

أما ذلك الصنف من الناس الذى يتحدث عنه السياق فيجعل العقيدة صفقة فى سورة التجارة : (فإن أصابه خير اطمأن به) وقال : إن الإيمان خير .

فها هو ذا يجلب النفع ، ويدر الضرع ، وينمى الزرع ، ويربح التجارة ، ويكفل الرواج (وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) ، خسر الدنيا بالبلاء الذى أصابه فلم يصبر عليه ، ولم يتماسك له ، ولم يرجع إلى الله فيه ، وخسر الآخرة بانقلابه على وجهه ، وانكفائه عن عقيدته ، وانتكاسه عن الهدى الذى كان ميسرا له .

والتعبير القرآنى يصوره فى عبادته لله (على حرف) غير متمكن من العقيدة، ولا مثبت فى العبادة ، يصوره فى حركة جسدية متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى ، ومن ثم ينقلب على وجهه عند مس الفتنة ، ووقفته المتأرجحة تمهد من قبل لهذا الانقلاب!

إن حساب الربح والخسارة يصلح للتجارة ، ولكنه لا يصلح للعقيدة . فالعقيدة حق يعتنق لذاته ، بانفعال القلب المتلقى للنور والهدى الذى لا يملك إلا أن ينفعل بما يتلقى ، والعقيدة تحمل جزاءها فى ذاتها ، بما فيها من طمأنينة وراحة ورضى ، فهى لا تطلب جزاءها خارجا عن ذاتها .

والمؤمن يعبد ربه شكرا له على هدايته إليه ، وعلى اطمئنانه للقرب منه والأنس به ، فإن كان هنالك جزاء فهو فضل من الله ومنة ، استحقاقا على الإيمان أو العبادة!

والمؤمن لا يجرب إلهه . فهو قابل ابتداء لكل ما يقدره له ، مستسلم ابتداء لكل ما يجربه عليه راض ابتداء بكل ما يناله من السراء والضراء ، وليست هى صفقة فى السوق بين بائع وشار ، إنما هى إسلام المخلوق للخالق ، صاحب الأمر فيه ، ومصدر وجوده من الأساس

والذى ينقلب على وجهه عند مس الفتنة يخسر الخسارة التى لا شبهة فيها ولا ريب .

يخسر الطمأنينة والثقة والهدوء والرضى . إلى جوار خسارة المال أو الولد ، أو الصحة ، أو أعراض الحياة الأخرى التى يفتن الله بها عباده ، ويبتلى بها ثقتهم فيه ، وصبرهم على بلائه ، وإخلاصهم أنفسهم له ، واستعدادهم لقبول قضائه وقدره . . ويخسر الآخرة وما فيها من نعيم وقربى ورضوان . فيا له من خسران[1].

ثالث عشر : الظن الفاسد :

قال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت] .

تلا الحسن:(وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم؛ فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل؛ وأما الكافر والمنافق، فأساء الظن فأساء العمل.

---

(١) فى ظلال القرآن: ٥/ ١٨٦ .

عن قتادة، قال: الظن ظنان:

- فظن منج، وظن مرد قال:(الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال(إنى ظننت أنى ملاق حسابيه)، وهذا الظن المنجى ظنا يقينا.

- وقال ها هنا:(وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) هذا ظن مرد[١].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله، فقال الله تعالى: (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) [٢].

وقال عمر بن الخطاب فى هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصى ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: " وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين "[٣].

وهذا نص صريح فى أن من ظن بالله تعالى أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فإنه يكون من الهالكين الخاسرين .

قال أهل التحقيق الظن قسمان: ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد :

- أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل ، قال صلى ﷺ حكاية عن الله ﷻ : " **أنا عند ظن عبدى بي**"[٤] .

- والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله أنه يعزب عن علمه بعض هذه

---

(١) تفسير الطبرى : ٢١/ ٤٥٧.

(٢) مسند أحمد : ٣/ ٣٩٠.

(٣) تفسير القرطبى :١٥/ ٣٥٣.

(٤) صحيح البخارى :قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ،(٦٨٥٦).

الأحوال[١].

والمعنى : أنه نعى عليهم سوء استدلالهم وفساد قياسهم فى الأمور الإلهية ، وقياسهم الغائب على الشاهد ، تلك الأصول التى استدرجتهم فى الضلالة فأحالوا رسالة البشر عن الله ونفوا البعث ، ثم أثبتوا شركاء لله فى الإلهية ، وتفرع لهم من ذلك كله قطع نظرهم عما وراء الحياة الدنيا، وأمنهم من التبعات فى الحياة الدنيا.

واعلم أن أسباب الضلال فى العقائد كلها إنما تأتى على الناس من فساد التأمل وسرعة الإيقان، وعدم التمييز بين الدلائل الصائبة والدلائل المشابهة، وكل ذلك يفضى إلى الوهم المعبر عنه بالظن السيئ ، أو الباطل .

فليحذر المؤمنون من الوقوع فى مثل هذه الأوهام فيبوئوا ببعض ما نعى على عبدة الأصنام[٢].

رابع عشر : زيادة الكفر :

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [فاطر] .

تركيب عجيب، لأن ظاهره يقتضى أن الكافرين كانوا قبل الكفر ممقوتين عند الله، فلما كفروا زادهم كفرهم مقتا عنده ، فى حال أن الكفر هو سبب مقت الله إياهم ، ولو لم يكفروا لما مقتهم الله، فتأويل الآية : أنهم لما وصفوا بالكفر ابتداء ثم أخبر بأن كفرهم يزيدهم مقتا، علم أن المراد بكفرهم الثانى

(١) تفسير الرازى :١٣/ ٣٨٦.
(٢) تفسير التحرير والتنوير :١٣/ ٢٦.

الدوام على الكفر يوما بعد يوم ، وقد كان المشركون يتكبرون على المسلمين ويشاقونهم ويؤيسونهم من الطماعية فى أن يقبلوا الإسلام، بأنهم أعظم من أن يتبعوهم وأنهم لا يفارقون دين آبائهم ، ويحسبون ذلك مقتا منهم للمسلمين فجازاهم الله بزيادة المقت على استمرار الكفر ، و شبه عملهم فى الكفر بعمل التاجر والخاسر ، أى الذى بارت سلعته، فباع بأقل مما اشتراها به فأصابه الخسار فكلما زاد بيعا زادت خسارته حتى تفضى به إلى الإفلاس[1].

فائدة :

التكرار فى الآية دليل على أن الكفر يستوجب أمرين هما :

- **البغض .**
- **والخسران.**

" إن تتابع الأجيال فى الأرض ، وذهاب جيل ومجئ جيل ، ووراثة هذا لذاك ، وانتهاء دولة وقيام دولة ، وانطفاء شعلة واتقاد شعلة ، وهذا الدثور والظهور المتواليان على مر الدهور . . إن التفكير فى هذه الحركة الدائبة خليق أن يجد للقلب عبرة وعظة ، وأن يشعر الحاضرين أنهم سيكونون بعد حين غابرين ، يتأمل الآتون بعدهم آثارهم ويتذاكرون أخبارهم ، كما هم يتأملون آثار من كانوا قبلهم ويتذاكرون أخبارهم ، وجدير بأن يوقظ الغافلين إلى اليد التى تدير الأعمار ، وتقلب الصولجان ، وتديل الدول ، وتورث الملك ، وتجعل من الجيل خليفة لجيل . وكل شيء يمضى وينتهى ويزول ، والله وحده هو الباقى الدائم الذى لا يزول ولا يحول .

ومن كان شأنه أن ينتهى ويمضى ، فلا يخلد ولا يبقى ، من كان شأنه أنه

---

(١) التحرير والتنوير :١١/ ٤٩١.

سائح فى رحلة ذات أجل؛ وأن يعقبه من بعده، ليرى ماذا ترك وماذا عمل، وأن يصير فى النهاية إلى من يحاسبه على ما قال وما فعل، من كان هذا شأنه جدير بأن يحسن ثواءه القليل، ويترك وراءه الذكر الجميل، ويقدم بين يديه ما ينفعه فى مثواه الأخير [١].

خامس عشر: اتباع أهل الأموال والأولاد الذين استعملوها فى تأييد الكفر والفساد:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾[نوح].

قال نوح عليه السلام: خالفوا أمري، وردوا على ما دعوتهم إليه من الهدى والرشاد، واتبعوا فى معصيتهم إياى من دعاهم إلى ذلك، ممن كثر ماله وولده، فلم تزده كثرة ماله وولده إلا بعدا من الله، وذهابا عن محجة الطريق[٢]، وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام.

واتبعوا أهل الأموال والأولاد التى لم تزدهم تلك الأموال والأولاد إلا خسارا، لأنهم استعملوها فى تأييد الكفر والفساد، فزادتهم خسارا إذ لو لم تكن لهم أموال ولا أولاد لكانوا أقل ارتكابا للفساد[٣].

إنهم عصوه: "بعد كل هذا الجهاد، وبعد كل هذا العناء، وبعد كل هذا التوجيه، وبعد كل هذا التنوير، وبعد الإنذار والإطماع والوعد بالمال والبنين والرخاء.. بعد هذا كله كان العصيان، وكان السير وراء القيادات الضالة المضللة، التى تخدع الأتباع بما تملك من المال والأولاد، ومظاهر الجاه

---

(١) فى ظلال القرآن: ٦/ ١٥٢.

(٢) تفسير الطبرى: ٢٣/ ٦٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٤٢.

والسلطان ، ممن (لم يزده ماله وولده إلا خسارا) فقد أغراهم المال والولد بالضلال والإضلال ، فلم يكن وراءهما إلا الشقاء والخسران[١] .

من الفوائد :

١-لا تجوز الشكوى إلا إلى الله عز وجل ، ولذا شكى نوح قومه إلى ربه ، وأنهم عصوه ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان ، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، داعيا لهم ، وهم على كفرهم وعصيانهم.

٢-يقلد الناس فى العادة قادتهم وكبراءهم ، وقد اتبع قوم نوح رؤساءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالا فى الدنيا وهلاكا فى الآخرة.

٣-والآية تحذر من الانخداع بالسير وراء القيادات الضالة المضللة التى استعملت نعم الله عليها من مال وأولاد وسلطان فى التحكم فى ظلم العباد وخراب البلاد ، وحولت الوطن إلى سجن كبير ، واستبد أهل المال والسلطان بالحكم - وتزوجوا وعلم الجميع بعرسهم ، لأنهم ذاقوا ويلات ومصائب هذا الزواج - وحكموا العباد بالحديد والنار ، والذى ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفق ما شرعه الله، فمصيره التغيب فى السجون أو فى القبور .

سادس عشر : الكفر بالإيمان :

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة] .

---

(١) فى ظلال القرآن :٧/ ٣٥٠.

يعنى " ومن يجحد ما أمر الله بالتصديق به، من توحيد الله ونبوة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله ، ، فقد بطل ثواب عمله الذى كان يعمله فى الدنيا، يرجو أن يدرك به منزلة عند الله، وهو فى الآخرة من الهالكين، الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد، وعملهم بغير طاعة الله[١].

إن التشريعات كلها منوطة بالإيمان؛ وتنفيذها كما هى هو الإيمان؛ أو هو دليل الإيمان ، فالذى يعدل عنها إنما يكفر بالإيمان، ويستره ويغطيه ويجحده ، والذى يكفر بالإيمان يبطل عمله، ويصبح ردا عليه لا يقبل منه ، ولا يقر عليه.. والحبوط مأخوذ من انتفاخ الدابة وموتها إذا رعت مرعى ساما . . وهو تصوير لحقيقة العمل الباطل ، فهو ينتفخ ثم ينعدم أثره، كالدابة التى تتسمم وتنتفخ وتموت . . وفى الآخرة تكون الخسارة فوق حبوط العمل وبطلانه فى الدنيا.

وهذا التعقيب الشديد ، والتهديد المخيف ، يجئ على أثر حكم شرعى يختص بحلال وحرام فى المطاعم والمناكح ، فيدل على ترابط جزئيات هذا المنهج؛ وأن كل جزئية فيه هى « الدين » الذى لا هوادة فى الخلاف عنه ، ولا قبول لما يصدر مخالفا له فى الصغير أو فى الكبير[٢] .

سابع عشر : عدم الائتمار والانتهاء بما جاء به القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء] .

وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من

---

(١) تفسير الطبرى :٩/ ٥٩٢.

(٢) فى ظلال القرآن :٢/ ٣٢١.

الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم، ولا يزيد هذا الذى ننزل عليك من القرآن للكافرين به إلا إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبل.

عن قتادة، قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه(ولا يزيد الظالمين) به(إلا خسارا) أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

وقال الحسن: والله من جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (١).

يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ-وهو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد -إنه: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يذهب ما فى القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفى من ذلك كله، وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء فى حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكذيبا وكفرا، والآفة من الكافر لا

(١) تفسير الطبرى: ١٧/ ٥٣٩.

من القرآن [1].

فالكافرون لا ينتفعون بما فيه من شفاء ورحمة ، وهم فى غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين به ، وهم فى عنادهم وكبريائهم يشتطون فى الظلم والفساد ، وهم فى الدنيا مغلوبون من أهل هذا القرآن ، فهم خاسرون ، وفى الآخرة معذبون بكفرهم به ولجاجهم فى الطغيان ، فهم خاسرون[2].

ثامن عشر : من دان بغير دين الإسلام :

قال تعالى :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران] .

أي: من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه[3].

قال سيد قطب – رحمه الله : لن يكون الإسلام إذن هو النطق بالشهادتين، دون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله معناها وحقيقتها ، وهى توحيد الألوهية وتوحيد القوامة ، ثم توحيد العبودية وتوحيد الاتجاه ، ودون أن يتبع شهادة أن محمدا رسول الله معناها وحقيقتها ، وهى التقيد بالمنهج الذى جاء به من عند ربه للحياة ، واتباع الشريعة التى أرسله بها ، والتحاكم إلى الكتاب الذى حمله إلى العباد .

ولن يكون الإسلام إذن تصديقا بالقلب بحقيقة الألوهية والغيب والقيامة وكتب الله ورسله . . دون أن يتبع هذا التصديق مدلوله العملى ، وحقيقته الواقعية التى أسلفنا . .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٥/ ١١٢.

(٢) فى ظلال القرآن :٥/ ٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير : ٢/ ٧٠.

ولن يكون الإسلام شعائر وعبادات ، أو إشراقات وسبحات ، أو تهذيبا خلقيا وإرشادا روحيا . . دون أن يتبع هذا كله آثاره العملية ممثلة فى منهج للحياة موصول بالله الذى تتوجه إليه القلوب بالعبادات والشعائر ، والإشراقات والسبحات ، والذى تستشعر القلوب تقواه، فتتهذب وترشد . . فإن هذا كله يبقى معطلا لا أثر له فى حياة البشر ما لم تنصب آثاره فى نظام اجتماعى يعيش الناس فى إطاره النظيف الوضئ .

هذا هو الإسلام كما يريده الله؛ ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر فى جيل منكود من أجيال الناس! ولا كما تصوره رغائب أعدائه المتربصين به ، وعملائهم هنا أو هناك!

فأما الذين لا يقبلون الإسلام على النحو الذى أراده الله ، بعدما عرفوا حقيقته ، ثم لم تقبلها أهواؤهم ، فهم فى الآخرة من الخاسرين[1].

فائدة :

كل من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود وهو خاسر فى الآخرة.

---

(١) فى ظلال القرآن :١/ ٣٩٦.

المبحث الثالث

نصيحة الرسل لأقوامهم باجتناب أسباب الخسران

المطلب الأول

محمد ﷺ ينصح قومه

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾[الزمر] .

وتحت لفظ "قل" من السر : أن النبى ليس له فى القرآن إلا إبلاغه ، لا أنه أنشأه من قبل نفسه ، بل هو المبلغ له عن الله ، وهذا هو المعنى الذى أشار إليه بقوله: قيل ، فقلت كما جاء فى صحيح البخارى : عن زر بن حبيش قال: سألت أبى بن كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال : قيل لى ، فقلت، فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[1].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هم الكفار الذين خلقهم الله للنار، وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا، وحرمت عليهم الجنة،[2]، فتفارقوا فلا التقاء لهم أبدا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، وهذا هو الخسار البين الظاهر الواضح[3].

وقال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : وذلك أن الله جعل لكل إنسان

---

(١) صحيح البخارى : سورة « قل أعوذ برب الفلق» (١٥/ ٣٦٨).
(٢) تفسير الطبرى : ٢١/ ٢٧١.
(٣) تفسير ابن كثير :٧/ ٩٠.

منزلا فى الجنة وأهلا، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل، لغيره ممن عمل بطاعة الله[١].

(١) تفسير البغوى :٧/ ١١٢.

المطلب الثانى

موسى عليه السلام ينصح قومه

قال تعالى :﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة] .

قوله تعالى :﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾ وفيه وجهان :

الأول : لا ترجعوا عن الدين الصحيح إلى الشك فى نبوة موسى عليه السلام ، وذلك لأنه عليه السلام لما أخبر أن الله تعالى جعل تلك الأرض لهم كان هذا وعدا بأن الله تعالى ينصرهم عليهم ، فلو لم يقطعوا بهذه النصرة صاروا شاكين فى صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالإلهية والنبوة .

والوجه الثانى : المراد لا ترجعوا عن الأرض التى أمرتم بدخولها إلى الأرض التى خرجتم عنها ، يروى أن القوم كانوا قد عزموا على الرجوع إلى مصر[1].

قوله (فتنقلبوا خاسرين) فيه وجوه :

أحدها : خاسرين فى الآخرة، فإنه يفوتكم الثواب ويلحقكم العقاب .

وثانيها : ترجعون إلى الذل .

وثالثها : تموتون فى التيه ولا تصلون إلى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة[2] .

(١، ٢) تفسير الرازى :٦/ ٢٥.

والأرض المقدسة التى هم مقدمون عليها مكتوبة لهم بوعد الله ، فهى إذن يقين ، وقد رأوا من قبل كيف صدقهم الله وعده ، وهذا وعده الذى هم عليه قادمون . . والارتداد على الأدبار هو الخسران المبين .

ولكن إسرائيل ، هى إسرائيل الجبن ، والتمحل ، والنكوص على الأعقاب ، ونقض الميثاق .

إن جبلة يهود لتبدو هنا على حقيقتها ، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل ، ذلك أنهم أمام الخطر؛ فلا بقية إذن من تجمل؛ ولا محاولة إذن للتشجع ، ولا مجال كذلك للتمحل ، إن الخطر ماثل قريب؛ ومن ثم لا يعصمهم منه حتى وعد الله لهم بأنهم أصحاب هذه الأرض ، وأن الله قد كتبها لهم - فهم يريدونه نصرا رخيصا ، لا ثمن له ، ولا جهد فيه ، نصرا مريحا يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى[1].

(١) فى ظلال القرآن : ٢/ ٣٤٤.

المطلب الثالث

صالح عليه السلام ينصح قومه

تتجلى حقيقة الألوهية فى قلب من قلوب الصفوة المختارة . قلوب الرسل الكرام ، فنجدها فى قولة صالح التى يحكيها عنه القرآن الكريم : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾[هود] .

وفى تفسير هذه الكلمة - فما تزيدوننى غير تخسير - وجهان :

الأول : أن على هذا التقدير تخسرون أعمالى وتبطلونها .

الثانى : أن يكون التقدير فما تزيدوننى بما تقولون لى وتحملونى عليه غير أن أخسركم أى: أنسبكم إلى الخسران ، وأقول لكم: إنكم خاسرون ، والقول الأول أقرب؛ لأن قوله : ﴿ فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ﴾ ، كالدلالة على أنه أراد إن أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذى دعوتمونى إليه لم أزدد إلا خسرانا فى الدين فأصير من الهالكين الخاسرين [1].

قال سيد قطب -رحمه الله: « يا قوم : ماذا ترون إن كنت أجد فى نفسى حقيقة ربى واضحة بينة ، تجعلنى على يقين من أن هذا هو الطريق؟ وآتانى منه رحمة فاختارنى لرسالته وأمدنى بالخصائص التى تؤهلنى لها ، فمن ينصرنى من الله إن أنا عصيته، فقصرت فى إبلاغكم دعوته ، احتفاظا برجائكم فى؟ أفنافعى هذا الرجاء وناصرى من الله؟ كلا :

---

(١) تفسير الرازى :٨/ ٤٣٣ .

ما تزيدوننى إلا خسارة على خسارة . . غضب الله وحرمانى شرف الرسالة وخزى الدنيا وعذاب الآخرة ، وهى خسارة بعد خسارة ، ولا شيء إلا التخسير! والتثقيل والتشديد[١].

وقال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله : « أى: ما تزيدوننى بحرصى على رجائكم فى واتقاء سوء ظنكم وارتيابكم ، غير إيقاع فى الخسران بإيثار ما عندكم على ما عند الله ، واشتراء رضاكم بسخط الله - تعالى - ، أو غير إيقاع فى الهلاك، ولعل مرادهما : ما تزيدوننى بقولكم إلا علما بخساركم، باستبدال الشرك بالتوحيد »[٢].

(١) فى ظلال القرآن :٤/ ٢٥٠.

(٢) تفسير المنار :١٢/ ١٠٢.

المطلب الرابع

شعيب عليه السلام ينصح قومه

قال تعالى : ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾[الشعراء ١٨١] .

يأمرهم تعالى بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيهما، فقال: ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ أي: إذا دفعتم إلى الناس فكملوا الكيل لهم، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصا، وتأخذوه -إذا كان لكم -تاما وافيا، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون[1].

قال الرازى –رحمه الله – : و الكيل على ثلاثة أضرب:

- واف .
- وطفيف .
- وزائد فأمر بالواجب الذى هو الإيفاء بقوله :﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾ ونهى عن المحرم الذى هو التطفيف بقوله :﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ ولم يذكر الزائد، لأنه بحيث إن فعله فقد أحسن، وإن لم يفعله فلا إثم عليه[2].

وقال سيد قطب –رحمه الله : وقد أمرهم رسولهم بالعدل والقسط فى هذا كله ، لأن العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة ، ولا تستطيع أن تغضى عن الحق والعدل فى معاملات الناس[3].

---

(١) تفسير ابن كثير :٦/ ١٥٩.
(٢) تفسير الرازى :١١/ ٤٩٦.
(٣) فى ظلال القرآن :٥/ ٣٦١.

المبحث الرابع

صور الخسران فى الدنيا والآخرة

خسران الدنيا : هو خسران : العزة والكرامة وإصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والإمامة والقضاء ولا يبقى ماله ودمه مصونا .

وخسران الآخرة : أن يفوته الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم[1] .

ومن صور الخسران :

أولا : خسران النفس :

قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الأنعام] .

لقد خسروا أنفسهم وفقدوها؛ فلم تعد لهم نفس تؤمن! . . هو تعبير دقيق عن حالة واقعة . . إن الذين لا يؤمنون بهذا الدين - مع عمق ندائه وإيحائه للفطرة بموحيات الإيمان ودلائله - هؤلاء لا بد أن يكونوا قد فقدوا قبل ذلك فطرتهم! لا بد أن تكون أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية فى كيانهم معطلة مخربة؛ أو محجوبة مغلفة . فهم فى هذه الحالة قد خسروا أنفسهم ذاتها ، بفقدانهم أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية الحية فى كيانها ، ومن ثم فهم لا يؤمنون . . إذ أنهم لم يعودوا يملكون أنفسهم التى بها يؤمنون . . وهذا هو التفسير العميق لعدم إيمانهم مع توافر دلائل الإيمان وموحياته من حولهم . .

---

(١) تفسير الرازى :١١/ ٩٩.

وهذا هو الذى يحدد مصيرهم فى ذلك اليوم ، وهو الخسارة الكبرى المترتبة على خسارتهم من قبل لنفوسهم[١].

ثانيا : خسران النفس والأهل :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾أي: إنما الخاسرون كل الخسران﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي: هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح[٢]. وخسرانهم أهليهم فهو مثل خسرانهم أنفسهم وذلك أنهم أغروا أهليهم من أزواجهم وأولادهم بالكفر كما أوقعوا أنفسهم فيه، فلم ينتفعوا بأهليهم فى الآخرة ولم ينفعوهم ، فكان خسرانهم خسرانا عظيما[٣].

---

(١) فى ظلال القرآن : ٢/ ٤٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ٩٠.

(٣) التحرير والتنوير :١٢/ ٣٠٥.

المبحث الخامس

الأسباب المنجية من الخسران

أولا : الإيمان والعمل الصالح :

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ ﴾[العصر] .

العصر: الزمان الذى يقع فيه حركات بنى آدم، من خير وشر.

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفى خسر، أي: فى خسارة وهلاك، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر[1].

فأقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصى بهما.

دلالات الاستثناء فى السورة :

قال تعالى :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [العصر : ١٣]

أحدها : أنه تسلية للمؤمن من فوت عمره وشبابه ، لأن العمل قد أوصله إلى خير من عمره وشبابه .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٨/ ٤٨٠.

ثانيها : أنه تنبيه على أن كل ما دعاك إلى طاعة الله فهو الصلاح ، وكل ما شغلك عن الله بغيره فهو الفساد .

ثانيا : التواصى بالحق والتواصى بالصبر :

دلالة التواصى فى السورة :

قوله تعالى :﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر] .

فاعلم أنه تعالى لما بين فى أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا فى خسر، وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب، والنجاة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم، بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم، ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير، كما ينبغى أن يكون عليه أهل الدين .

فالتواصى بالحق : يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل ، والتواصى بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف فى القيام بما يجب ، وفى اجتنابهم ما يحرم إذ الإقدام على المكروه ، والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد .

وفى الآية مسائل :

المسألة الأولى : هذه الآية فيها وعيد شديد ، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتيا بهذه الأشياء الأربعة ، وهى الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور، وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذلك يلزمه فى غيره أمور ، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ثم كرر التواصى ليضمن الأول الدعاء إلى الله ، والثانى الثبات عليه ، والأول الأمر بالمعروف والثانى النهى عن المنكر.

المسألة الثانية : دلت الآية على أن الحق ثقيل ، وأن المحن تلازمه ، فلذلك قرن به التواصي.

المسألة الثالثة : إنما قال : (وتواصوا) ولم يقل : ويتواصون لئلا يقع أمرا بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم فى الماضى ، وذلك يفيد رغبتهم فى الثبات عليه فى المستقبل [١].

وهنا تساؤل : لماذا التواصى بالحق ضرورة ؟

التواصى بالحق ضرورة ، فالنهوض بالحق عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة :

- هوى النفس .
- ومنطق المصلحة .
- وتصورات البيئة .
- وطغيان الطغاة .
- وظلم الظلمة .
- وجور الجائرين .

والتواصى تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف والغاية ، والأخوة فى العبء والأمانة ، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية ، إذ تتفاعل معا

---

(١) تفسير الرازى : ١٧/ ٢٠١.

فتتضاعف ، تتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله . . وهذا الدين وهو الحق لا يقوم إلا فى حراسة جماعة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال .

وهنا تساؤل : لماذا التواصى بالصبر ضرورة ؟

والتواصى بالصبر كذلك ضرورة ، فالقيام على الإيمان والعمل الصالح ، وحراسة الحق والعدل ، من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ، ولا بد من الصبر. لا بد من الصبر على:

- جُهَاد النفس ، وجهاد الغير .
- والصبر على الأذى والمشقة .
- والصبر على تبجح الباطل وتنفج الشر .
- والصبر على طول الطريق وبطء المراحل ، وانطماس المعالم ، وبعد النهاية.

والتواصى بالصبر يضاعف المقدرة ، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف ، ووحدة المتجه ، وتساند الجميع ، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار . . إلى آخر ما يثيره من معانى الجماعة التى لا تعيش حقيقة الإسلام إلا فى جوها ، ولا تبرز إلا من خلالها . . وإلا فهو الخسران والضياع .

ثالثا : فضل الله ورحمته :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[البقرة] .ففيه بحثان :

الأول : ذكر القفال فى تفسيره وجهين ، الأول : لولا ما تفضل الله به

عليكم من إمهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين، أى: من الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنم ، فدل هذا القول على أنهم إنما خرجوا عن هذا الخسران، لأن الله تعالى تفضل عليهم بالإمهال حتى تابوا ، الثانى : أن يكون الخبر قد انتهى عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ ثم قيل : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ رجوعا بالكلام إلى أوله ، أى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم الكتاب، ولكنه تفضل عليكم ورحمكم فلطف بكم بذلك حتى تبتم [١].

"ذكرهم بما كان منهم من التولى عن الطاعة والإعراض عن القبول ، ثم امتن عليهم بما عاملهم به من الفضل والرحمة ، والصفح عما يستحقونه من المؤاخذة والعقوبة ، فقال :﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أى ثم أعرضتم وانصرفتم عن الطاعة من بعد أخذ الميثاق ومشاهدة الآيات التى تؤثر فى القلوب ، وتستكين لها النفوس ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أى: إنكم بتوليكم استحققتم العقاب ، ولكن حال دون نزوله بكم فضل الله عليكم ورحمته بكم ، ولولا ذلك لخسرتم سعادة الدنيا ، وهى التمكن فى الأرض المقدسة التى تفيض لبنا وعسلا ، ثم خسرتم سعادة الآخرة وهى خير ثوابا وخير أملا ، فمن فضله وإحسانه أن وفقكم للعمل بالميثاق بعد ذلك[٢] .

رابعا : طلب مغفرة الله ورحمته بعد الاعتراف بالذنب والندم عليه :

خوف بنى إسرائيل من الخسران وطلب إقالة العثرة :

قال تعالى :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف] .

---

(١) تفسير الرازى :٢/ ١٤٠.

(٢) تفسير المنار :١/ ٢٨٤.

وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه وندم على ما صدر منه ورغب إلى ربه فى إقالة عثرته ، ثم صدقوا على أنفسهم كونهم من الخاسرين إن لم يغفر الله لهم[١] .

إنها خصيصة « الإنسان » التى تصله بربه ، وتفتح له الأبواب إليه . . الاعتراف ، والندم ، والاستغفار ، والشعور بالضعف ، والاستعانة به ، وطلب رحمته ، مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته . . وإلا كان من الخاسرين .[٢] .

خوف آدم وحواء من الخسران وطلب إقالة العثرة:

قال تعالى :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف] .

فحينئذ من الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا من الله مغفرته فقالا أي: قد فعلنا الذنب، الذى نهيتنا عنه، وأضررنا أنفسنا باقتراف الذنب، وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافاة من أمثال هذه الخطايا.

فغفر الله لهما ذلك : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه] .

هذا وإبليس مستمر على طغيانه غير مقلع عن عصيانه فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتباه ربه وهداه.

---

(١) تفسير الرازى : ٧/ ٢٥٣.

(٢) فى ظلال القرآن :٣/ ٢٩٦.

ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنب لا يزال يزداد من المعاصى - فإنه لا يزداد من الله إلا بعدا[١]، فكان آدم بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلا ونهارا[٢].

خوف نوح عليه السلام من الخسران وطلبه إقالة العثرة :

قال نوح :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] ، فكان اعتذار نوح بمثابة توبة كاملة تتضمن عنصرى حقيقة التوبة وهما :

الأول- فى المستقبل : وهو العزم على الترك ، وإليه الإشارة بقوله :﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ .

والثاني- فى الماضى : وهو الندم على ما مضى ، وإليه الإشارة بقوله :﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٣].

وهنا يثار تساؤل: هل يصيب المسلم الخسران ؟

إن الإنسان لا ينفك عن خسر ، لأن الخسر هو تضييع رأس المال ، ورأس ماله هو عمره ، وهو قلما ينفك عن تضييع عمره ، وذلك لأن كل ساعة تمر بالإنسان؛ فإن كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك فى الخسران ، وإن كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضا حاصل ، لأنه كما ذهب لم يبق منه أثر ، مع أنه كان متمكنا من أن يعمل فيه عملا يبقى أثره دائما ، وإن كانت مشغولة

(١) تفسير السعدى : ٢٨٥.
(٢) تفسير السعدى : ٥١٤.
(٣) التفسير المنير :١٢/ ٨٠.

بالطاعات فلا طاعة إلا ويمكن الإتيان بها ، أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك ، لأن مراتب الخضوع والخشوع لله غير متناهية ، فإن مراتب جلال الله وقهره غير متناهية ، وكلما كان علم الإنسان بها أكثر كان خوفه منه تعالى أكثر ، فكان تعظيمه عند الإتيان بالطاعات أتم وأكمل ، وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسران ، فثبت أن الإنسان لا ينفك البتة عن نوع خسران.

واعلم أن هذه الآية كالتنبيه على أن الأصل فى الإنسان أن يكون فى الخسران والخيبة ، وتقريره أن سعادة الإنسان فى حب الآخرة والإعراض عن الدنيا .

المبحث السادس

السنن الإلهية فى خسارة الأمم والأفراد

المطلب الأول

عدم قبول الإيمان حال اليأس سنة الله مطردة فى كل الأمم

قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٥] .

قوله تعالى : ﴿ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين أي: وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات، ولا تنفع المعذرة.

وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس] ، قال الله تبارك و تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال: ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨] .

وهكذا هاهنا قال: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر] أي: هذا حكم الله فى جميع من تاب عند معاينة العذاب؛ ولهذا جاء فى الحديث: "عن ابن عمر :عن النبى ﷺ قال إن الله يقبل

توبة العبد ما لم يغرغر[١]. أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة، وعاين الملك، فلا توبة حينئذ[٢].

(١) سنن الترمذى :فضل التوبة والاستغفار ،(٣٤٦٠) حديث حسن غريب .
(٢) تفسير ابن كثير :٧/ ١٦٠ .

المطلب الثانى

الخسر ان سنة الله فى عقاب المبطلين

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [غافر] .

قوله تعالى : ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ تعريض بأن ما سيظهره الله من الإذن لمحمد ﷺ هو آيات عقاب لمعانديه ، فمنها :

١ - آية الجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة .

٢ - وآية السيف يوم بدر إذ استأصل صناديد المكذبين من أهل مكة .

٣ - وآية السيف يوم حنين إذ استأصل صناديد أهل الطائف .

٤ - وآية الأحزاب التى قال الله عنها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب]، ثم قال : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب] .

وفى الآية: نكتة بديعية وهى الإيماء إلى أن المبطلين من قريش ستأتيهم الآية فى مكان من الأرض، وهو مكان بدر وغيره من مواقع إعمال السيف فيهم

فكانت آيات محمد ﷺ حجة على معانديه أقوى من الآيات السماوية نحو الصواعق أو الريح ، وعن الآيات الأرضية نحو الغرق والخسف لأنها كانت مع مشاركتهم ومداخلتهم حتى يكون انغلابهم أقطع لحجتهم وأخزى لهم [١].

فإذا حان الوقت المعين لعذابهم فى الدنيا أو فى الآخرة ، قضى بالعدل فيما بينهم ، فينجى الله بقضائه الحق عباده المرسلين المحقين والذين آمنوا معهم ، ويهلك الكافرين الذين يتبعون الباطل ويعملون به.

فما عليك يا محمد إلا الصبر ، تأسيا بالأنبياء قبلك ، وإذا جاء أمر الله بالفصل بينك وبين قومك ، قضى بينكم بالحق ، فنصرت ، وخسر المبطلون من ملأ قريش الذين يصدون عن دعوتك[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجاثية] فيوم يجمع الخلائق لموقف القيامة يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقه بالباطل فبطلت فى يوم القيامة، اليوم الذى تستبين به الحقائق، واضمحلت عنهم وفاتهم الثواب وحصلوا على أليم العقاب[٣].

فوائد من الآية :

الأمر بالصبر للنبى تسلية له ، وإعلامه بأن الله سينتقم له من قومه المكذبين لرسالته ، إما فى حياته ، أو فى الآخرة، وأمة النبى ﷺ مأمورة مثله بالصبر.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢/ ٤٨٨.

(٢) التفسير المنير : ٢٤/ ١٦٩.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٨.

المطلب الثالث

الخسران سنة الله فى عقاب القرى العاتية

قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ ﴾ [الطلاق] .

يقول تعالى : متوعدا لمن خالف أمره، وكذب رسله، وسلك غير ما شرعه، ومخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك، فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ أي: منكرا فظيعا. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ ، أي: غب مخالفتها ، وندموا حيث لا ينفعهم الندم ، ﴿ وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: فى الدار الآخرة، مع ما عجل لهم فى الدنيا[1]،من الجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب، وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا[2].

قال سيد قطب –رحمه الله – : فأخذ الله لمن يعتو عن أمره ولا يسلم لرسله هو سنة متكررة، ونقف لحظة أمام هذا التحذير، فنرى أن الله أخذ القرى واحدة بعد واحدة كلما عتت عن أمر ربها ورسله . . ونجد أن هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه ، فيرتبط الطلاق وحكمه بهذه السنة الكلية ، ويوحى هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمر أسر أو أزواج ، إنما هو

---

(١) تفسير ابن كثير :٨/ ١٥٥.

(٢) تفسير القرطبى :١٨/ ١٧٣.

أمر الأمة المسلمة كلها ، فهى المسؤولة عن هذا الأمر ، وهى المسؤولة فيه عن شريعة الله ، ومخالفتها عن أمر الله فيه أو مخالفتها عن أمر الله فى غيره من أحكام هذا النظام ، أو هذا المنهج الإلهى المتكامل للحياة هى عتو عن أمر الله ، لا يؤاخذ به الأفراد الذين يرتكبونه ، إنما تؤاخذ به القرية أو الأمة التى تقع فيها المخالفة ، والتى تنحرف فى تنظيم حياتها عن نهج الله وأمره ، فقد جاء هذا الدين ليطاع ، ولينفذ كله ، وليهيمن على الحياة كلها ، فمن عتا عن أمر الله فيه ولو كان هذا فى أحوال الأفراد الشخصية فقد تعرض لما تعرضت له القرى من سنة الله التى لا تتخلف أبدا.

وتلك القرى ذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا . . ذاقته فى هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير ، ولقد ذاقت هذا الوبال قرى وأمم وشعوب عتت عن منهج الله فى الأرض ، ونحن نشهد وأسلافنا شهدوا هذا الوبال . ذاقته فسادا وانحلالا ، وفقرا وقحطا ، وظلما وجورا ، وحياة مفزعة لا أمن فيها ولا سلام ، ولا طمأنينة فيها ولا استقرار ، وفى كل يوم نرى مصداق هذا النذير.

إن هذا الدين منهج نظام جماعى جاء لينشئ جماعة مسلمة ذات نظام خاص ، وجاء ليصرف حياة هذه الجماعة كلها ، ومن ثم فالجماعة كلها مسؤولة عنه ، مسؤولة عن أحكامه ، ولن تخالف عن هذه الأحكام حتى يحق عليها هذا النذير الذى حق على القرى التى عتت عن أمر ربها ورسله [١].

خسارة الأمم :

خسارة الأمم: هى إضاعة استقلالها ، وسلطان أمة أخرى عليها تستذلها ،

---

(١) فى ظلال القرآن :٧/ ٢٤٢.

وجملة ذلك أن العقوبة أثر طبيعى لازم للعمل ، وأن ذنوب الأمم لا بد من العقاب عليها فى الدنيا قبل الآخرة.

أن العقاب الإلهى للأفراد وللأمم نوعان :

(أحدهما) : العقاب بما توعد تعالى به على مخالفة رسله ومعاندتهم ، وهو من قبيل عقاب الحكام لرعاياهم على مخالفة شرائع أمتهم وقوانينها ونظمها .

(وثانيهما) : العقاب الذى هو أثر طبيعى للجرائم ، وهو من قبيل ما يعاقب به المريض على مخالفة أمر طبيبه فى معالجته له من الحمية والاقتصار على كذا من الغذاء ، والتزام كذا من الدواء [1].

فائدة :

فى الآية : ذكر الله المسلمين بما حل بأقوام من عقاب عظيم على قلة اكتراثهم بأمر الله ورسله لئلا يسلكوا سبيل التهاون بإقامة الشريعة ، فيلقى بهم ذلك فى مهواة الضلال .

---

(١) تفسير المنار :٩/ ٤٨٠.

المطلب الرابع

سنة الله فى المتماثلين

أولا : الأمم السابقة

قال تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحقاف] .

إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه[1]، و دخلوا فى زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[2].

وأية خسارة أكبر من خسارة الإيمان واليقين فى الدنيا ، ثم خسارة الرضوان والنعيم فى الآخرة ، ثم العذاب الذى يحق على الجاحدين المنحرفين؟

و « المقصود » أن الله أخبر أن سنته لن تبدل ولن تتحول، وسنته عادته التى يسوى فيها بين الشيء وبين نظيره الماضى، وهذا يقتضى أنه سبحانه يحكم فى الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة.

وهو سبحانه وتعالى يجمع ويسوى بين الأمور المتماثلة فيحكم فى الشئ

---

(١) تفسير الطبرى : ٢١/ ٤٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير :٧/ ٢٨٤.

خلقا وأمرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين شيئين غير متماثلين؛ بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسو بينهما[١].

والآية دليل : على تكليف الثقلين وتعلق الأمر والنهى بهم ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم .

ثانيا : الكفار والمنافقون :

وقال تعالى : ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[التوبة] .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد: لهؤلاء المنافقين الذين قالوا:(إنما كنا نخوض ونلعب): أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟ (كالذين من قبلكم)، من الأمم الذين فعلوا فعلكم، فأهلكهم الله، وعجل لهم فى الدنيا الخزي، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال فى الآخرة، واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حل بهم، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا، وأكثر منكم أموالا وأولادا ، فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضا من نصيبهم فى الآخرة، وقد سلكتم، أيها المنافقون، سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم، الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى ، كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم ، وخضتم فى الكذب والباطل على الله ، وخضتم أنتم أيضا، أيها المنافقون، كخوض تلك الأمم قبلكم[٢]، فأنتم وهم

---

(١) مجموع الفتاوى :٣/ ١٤٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٤/ ٣٤١.

سواء ، فيوشك أن يحيق بكم ما حاق بهم، وفيه تعريض بأن الذين شابهوهم فى أحوالهم أحرياء بأن يحل بهم ما حل بأولئك [١].

وهذه الطبيعة الفاسقة المنحرفة الضالة ، ليست جديدة ، ففى تاريخ البشرية لها نظائر وأمثال ، ولقد حوى تاريخ البشرية من قبل هؤلاء نماذج كثيرة من هذا الطراز ، ولقد لاقى السابقون مصائر تليق بفسوقهم عن الفطرة المستقيمة والطريق القويمة ، بعدما استمتعوا بنصيبهم المقدر لهم فى هذه الأرض ، وكانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأولادا ، فلم يغن عنهم من ذلك كله شئ .

والقرآن يذكر القوم بما كان من أسلافهم ، ويبصرهم بأنهم يسلكون طريقهم ، ويحذرهم أن يلاقوا مصيرهم ، لعلهم يهتدون[٢].

وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهى علوم الرسل، وهى الوصول إلى اليقين فى جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل[٣].

فائدة :

والمراد من الآية :

- أن سنة الله فى عباده واحدة لا ظلم فيها ولا محاباة ، فلا بد أن يحل بالمجرمين من العذاب ما حل بأمثالهم من أقوام الرسل إن لم يتوبوا.

---

(١) التحرير والتنوير :٦/ ٣٣٣.

(٢) فى ظلال القرآن :٤/ ٤٧.

(٣) تفسير السعدى : ٣٤٣.

- علق سبحانه حبوط الأعمال والخسران باتباع الشهوات الذى هو الاستمتاع بالخلاق، وباتباع الشبهات الذى هو الخوض بالباطل.

المطلب الخامس

الشرك محبط لجميع الأعمال سنة إلهية

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر] .

فى نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال[١].

وفى تقدير فرض وقوع الإشراك من الرسول والذين من قبله مع تحقق عصمتهم التنبيه على عظم أمر التوحيد وخطر الإشراك، ليعلم الناس أن أعلى الدرجات فى الفضل لو فرض أن يأتى عليها الإشراك لما أبقى منها أثرا ولدحضها دحضا[٢]، و التحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه فى مقام العبادة ، وتوحد البشر فى مقام العبودية ، بما فيهم الأنبياء والمرسلون[٣].

---

(١) تفسير السعدى : ٧٢٩.

(٢) التحرير والتنوير :١٢/ ٣٧٩.

(٣) فى ظلال القرآن :٦/ ٢٤١.

المطلب السادس

استغراب الأمم بعث الله الرسل بشرا سنة إلهية

جرت عادة جميع الأمم باستغرابهم بعث الله رسلا من البشر، كقوله : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[ابراهيم : ١٠] ، وقوله : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[المؤمنون : ٤٧]، وقوله : ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾[القمر: ٢٤] ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾[التغابن : ٦] ، وقوله ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[المؤمنون] .

إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيسا، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم، وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقد له، والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته [1].

فجعلوا اتباع الرسول خسرانا ، ولم يجعلوا عبادة غير الله خسرانا.

فالاعتراض المكرور فى الأمم السابقة هو الاعتراض على بشرية الرسول ، وهو الاعتراض الناشئ من انقطاع الصلة بين قلوب هؤلاء الكبراء المترفين ، وبين النفخة العلوية التى تصل الإنسان بخالقه الكريم .

والترف يفسد الفطرة ، ويغلظ المشاعر ، ويسد المنافذ ، ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التى تتلقى وتتأثر وتستجيب ، ومن هنا يحارب الإسلام الترف؛ ويقيم نظمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود فى الجماعة المسلمة ، لأنهم كالعفن يفسد ما حوله ، حتى لينخر فيه السوس ،

---

(١) تفسير السعدى : ٥٥١.

ويسبح فيه الدود.

ثم يزيد المترفون هنا إنكار البعث بعد الموت والبلى؛ ويعجبون من هذا الرسول الذى ينبئهم بهذا الأمر الغريب[١].

(١) فى ظلال القرآن :٥/ ٢٣٤.

المبحث السابع

نماذج من الخاسرين

المطلب الأول

قابيل بن آدم

قال تعالى : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [المائدة] .

أي: فحسنت وسولت له نفسه، وشجعته علىَ قتل أخيه فقتله، أي: بعد هذه الموعظة وهذا الزجر.

عن ابن عباس -وعن مرة، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه فى زؤوس الجبال، فأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنما له، وهو نائم فرفع صخرة، فشدخ بها رأسه فمات، فتركه بالعراء. رواه ابن جرير[1].

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [المائدة] قال ابن عباس : خسر دنياه وآخرته ، أما الدنيا فهو أنه أسخط والديه وبقى مذموما إلى يوم القيامة ، وأما الآخرة فهو العقاب العظيم[2].

هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان؛ ونموذجا كذلك من العدوان الصارخ الذى لا مبرر له ، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة؛

---

(١) تفسير ابن كثير :٣/ ١٩

(٢) تفسير الرازى :٦/ ٧٠

ونموذجا كذلك من الطيبة والوداعة ، وتقفهما وجها لوجه ، كل منهما يتصرف وفق طبيعته . . وترسم الجريمة المنكرة التى يرتكبها الشر ، والعدوان الصارخ الذى يثير الضمير؛ ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء؛ وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة؛ فإذا ارتكبها - على الرغم من ذلك - وجد الجزاء العادل، المكافئ للفعلة المنكرة ، كما تصون النموذج الطيب الخير ، تحفظ حرمة دمه . فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش ، وأن تصان ، وأن تأمن؛ فى ظل شريعة عادلة رادعة .

والنموذج الشرير : خسر نفسه فأوردها موارد الهلاك ، وخسر أخاه ففقد الناصر والرفيق ، وخسر دنياه فما تهنأ للقاتل حياة ، وخسر آخرته فباء بإثمه الأول وإثمه الأخير[1].

العبرة فى قصة ابنى آدم أن الحسد كان سبب أول جريمة قتل فى البشر ، وأنه هو أس المفاسد والمعايب والرذائل فى المجتمع ، فالأمة المتحاسدة متمزقة متعادية متباغضة ، لا تجتمع على خير ، ولا تلتقى على فضيلة ، ولا تتعاون على بر وصلاح وتقدم ، مما يؤدى إلى الضعف والذل والهوان وعبودية أفرادها لمن سواهم[2].

---

(١) فى ظلال القرآن :٢/ ٣٥١.

(٢) التفسير المنير :٦/ ١٥٧.

المطلب الثانى

قوم إبراهيم

قال تعالى : ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء] .

يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيدا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ يعنى الهالكين[١].

أي: المغلوبين الأسفلين؛ لأنهم أرادوا بنبى الله كيدا، فكادهم الله ونجاه من النار، فغلبوا هنالك.

وقال عطية العوفي: لما ألقى إبراهيم فى النار، جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه، فأحرقته مثل الصوفة[٢]، ورددنا مكرهم عليهم بتسليطنا أضعف خلقنا، قال ابن عباس: سلط الله عليهم أضعف خلقه البعوض، فما برح نمروذ حتى رأى عظام أصحابه وخيله تلوح، أكلت لحومهم وشربت دماءهم، ووقعت واحدة فى منخره فلم تزل تأكل إلى أن وصلت دماغه، وكان أكرم الناس عليه الذى يضرب رأسه بمرزبة من حديد، فأقام بهذا نحوا من أربعمائة سنة[٣].

العبرة من الآيات :

هذه الآيات عبرة لمن اعتبر ، إنها تمثل موقف المجاهد الصابر فى سبيل دعوته إلى التوحيد والحق والفضيلة ، وموقف المعادى الجاهل المناصر للباطل

---

(١) تفسير الطبرى :١٨ / ٤٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير :٥/ ٣٥٣.

(٣) تفسير القرطبى :١١/ ٣٠٥.

والشرك والوثنية.

لقد دبر قوم إبراهيم له طريقا للخلاص منه ، وأرادوا إحراقه وتعذيبه بأشد أهوال العذاب ، ومعاقبته بالنار لأنها أشد العقوبات ، وجمعوا الحطب وأوقدوا النار ، واشتعلت واشتدت ، ثم قيدوا إبراهيم ووضعوه فى المنجنيق مغلولا، وهذا من أشد وأعتى ما يفعله البشر ، ولكن أين الله ؟ ! لقد كانت النتيجة مروعة مذهلة مدعاة للعجب والاستغراب ، وفوق حدود التصورات البشرية ، فسلخ الله تعالى من النار خاصية الإحراق ، ونجا إبراهيم وخرج من النار كأنه يخرج من حمام أمام الجموع الغفيرة المشاهدة ، ولم تحرق النار إلا وثاقه فى أول ملامستها له ، وتلك معجزة تدعو إلى الإيمان بحق ، وتستدعى التأمل فى تدبير البشر ومكرهم ، وفى تدبير الله الأعظم الذى يبدد كل تدبير ، ويحبط كل مسعى شرير ، فنجاه الله من النار ، وجعلهم الأخسرين المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا به التحريق ، فخاب مرادهم[1].

(١) التفسير المنير :١٧/ ٨٥.

المطلب الثالث

قوم شعيب

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأعراف] .

يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين ، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين؛ لأنه أخبر عنهم جَل ثناؤه: أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه:﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأعراف] ، فكذبهم الله بما أحل بهم من عاجل نكاله، ثم قال لنبيه محمد ﷺ : ما خسر تباع شعيب، بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله ، هم الخاسرين ، دون الذين صدقوا وآمنوا به[1].

وعذابهم : هو أن اضمحلالهم وانقطاع دابرهم كان جزاء لهم على تكذيبهم شعيبا .

ومعنى : (كأن لم يغنوا فيها) تشبيه حالة استيصالهم وعفاء آثارهم بحال من لم تسبق لهم حياة[2].

"إنها ملامح المعركة التى تتكرر ولا تتغير . . إن الطواغيت يتوجهون أولا إلى الداعية ليكف عن الدعوة ، فإذا استعصم بإيمانه وثقته بربه ، واستمسك بأمانة التبليغ وتبعته ، ولم يرهبه التخويف بالذى يملكه الطغاة من الوسائل . .

---

(١) تفسير الطبرى :١٢/ ٥٧٠.

(٢) التحرير والتنوير :٥/ ٣٨٥.

تحولوا إلى الذين اتبعوه يفتنونهم عن دينهم بالوعيد والتهديد ، ثم بالبطش والعذاب . . إنهم لا يملكون حجة على باطلهم ، ولكن يملكون أدوات البطش والإرهاب؛ ولا يستطيعون إقناع القلوب بجاهليتهم - وبخاصة تلك التى عرفت الحق فما عادت تستخف بالباطل - ولكنهم يستطيعون البطش بالمصرين على الإيمان ، الذى أخلصوا الدينونة لله فأخلصوا له السلطان .

ولكنه من سنة الله الجارية أنه عندما يتمحض الحق والباطل ، ويقفان وجها لوجه فى مفاصلة كاملة تجرى سنة الله التى لا تتخلف . .

ففى ومضة ها نحن أولاء نراهم فى دارهم جاثمين . لا حياة ولا حراك . كأن لم يعمروا هذه الدار ، وكأن لم يكن لهم فيها آثار.

ويطوى صفحتهم مشيعة بالتبكيت والإهمال ، والمفارقة والانفصال ، من رسولهم الذى كان أخاهم ، ثم افترق طريقه عن طريقهم ، فافترق مصيره عن مصيرهم ، حتى لم يعد يأسى على مصيرهم الأليم ، وعلى ضيعتهم فى الغابرين[1].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ [الأعراف : ٩٠] محذرين عن اتباع شعيب، هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء فى اتباع الرشد والهدى، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة فى لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال.

(فأخذتهم الرجفة) أي: الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أي: صرعى ميتين هامدين.

قال تعالى ناعيا حالهم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾ أي: كأنهم ما

(١) فى ظلال القرآن :٣/ ٢٥٦.

أقاموا فى ديارهم، وكأنهم ما تمتعوا فى عرصاتها، ولا تفيئوا فى ظلالها، ولا غنوا فى مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ثمار أشجارها، حين فاجأهم العذاب، فنقلهم من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والشقاء والعقاب والدركات ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف] أي: الخسار محصور فيهم، لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين[1].

"والآية بيان مستأنف من قبل الله عز وجل ناقض لقول الملأ من قوم شعيب لقومهم : لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون وقولهم قبله : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا، كأن سائلا يسأل عنهم باعتبار كل من الحالين : كيف انتهى الأمر فيها ؟ وكيف كان عاقبة أهلها ؟ فأجيب عن الأول بقوله : الذين كذبوا شعيبا وهددوه وأنذروه الإخراج من قريتهم قد هلكوا ، وهلكت قريتهم فحرموها كأن لم يقيموا ، ولم يعيشوا فيها مطلقا أو فى ذلك العيش الرغيد ، والأمد المديد فمتى انقضى الشئ صار كأنه لم يكن .

وأجيب عن الثانى بقوله : الذين كذبوا شعيبا ، وزعموا أن من يتبعه يكون خاسرا ، وأكدوا زعمهم بأقوى المؤكدات ، كانوا هم الخاسرين لما يعتزون به من تقاليد ملتهم ، ومن مالهم ووطنهم ، ولما كانوا موعودين به من سعادة الدنيا والآخرة لو آمنوا ، دون الذين اتبعوه فإنهم كانوا هم الفائزين المفلحين ، فالجملة تفيد حصر الخسار فى المكذبين له بالنص ، وتقتضى نفيه عن المتبعين له بالأولى ، ومناسبة الجزاء للذنب يجعل الحرص على التمتع بالوطن والاستبداد فيه على أهل الحق سببا للحرمان الأبدى منه ، وجعل الحرص على

(١) تفسير السعدى : ٢٩٦.

الربح بأكل أموال الناس بالباطل سببا للخسران بالحرمان منه ومن غيره[١].

وفى الآية دلالة واضحة على أن العاقبة للمتقين، والربح الحقيقى لمن يأكل الحلال، ويترفع عن الحرام، وأن الدمار والهلاك والإفلاس للكافرين الذين ينغمسون فى الحرام، ويأكلون أموال الناس بالباطل.

(١) تفسير المنار :٩/ ١٢.

المبحث الثامن

من صور نعيم المؤمنين يوم القيامة

فى يوم القيامة وما فيه من عذاب أليم للظالمين ، وما فيه من نعيم مقيم للمؤمنين؛ ينطق الله ﷻ الذين آمنوا وكأنهم هم سادة الموقف؛ فينطقون ويقررون ، قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الشورى] .

فهذا قول المؤمنين يوم القيامة؛ إذ كانوا يومئذ مطمئنين من الأهوال، شاكرين ما سبق من إيمانهم فى الدنيا، عارفين بربح تجارتهم، ومقابلين بالضد حالة الذين كانوا يسخرون بهم فى الدنيا؛ إذ كانوا سببا فى خسارتهم يوم القيامة.

والظاهر : أن المؤمنين يقولون هذا بمسمع من الظالمين؛ فيزيد الظالمين تلهيبا لندامتهم ومهانتهم وخزيهم .

فهذا الخبر مستعمل فى إظهار المسرة والبهجة بالسلامة مما لحق الظالمين ، أى قالوه تحدثا بالنعمة واغتباطا بالسلامة يقوله كل أحد منهم أو يقوله بعضهم لبعض[1] .

اللهم لا تحرمنا هذا النعيم

---

(١) التحرير والتنوير :١٣/ ١٥١.

الخاتمة

الحمد الله الذى أعاننى على الانتهاء من هذا البحث ، و أسأله القبول الحسن.

من النتائج التى توصلت إليها فى البحث :

١- أن المؤمنين والمجرمين فى ميدان تنافس ، والفائز فى النهاية هم المؤمنون فى الدنيا والآخرة ؛ إذا أخذوا بأسباب الفوز .

٢- أن الله شوق المؤمنين للفوز ، وذلك بعرض صور نعيم الفائزين فى الجنة .

٣- من صور الفوز التى يجب على المؤمنين فهمها هى « ثباتهم على الدين حتى ملاقاة رب العالمين»، «وعدم التأثر بما يثار فى الإعلام من صور الفوز التى لا تتفق مع المفهوم القرآنى للفوز» .

٤- أن المنافقين يتباطئون ويبطؤون غيرهم وقت الجهاد والشدة ، ويتسارعون وقت توزيع الغنائم ، وهذا مفهومهم للفوز العظيم .

٥- أن الكفر والنفاق من أسباب الخسران فى الدنيا والآخرة .

٦- أن الخسران المبين هو خسران النفس والأهل يوم القيامة .

٧- أن خسران الأمم هو انقيادها لأعدائها، وتحكم الأعداء فيها ، وتوجيه حياتهم فى جميع الشئون بما يوافق قيمَ وأخلاق الأعداء .

٨- أن وظيفة الرسل والمصلحين هو دعوة الناس إلى اجتناب أسباب الخسران فى الدنيا والآخرة .

٩- أن لله سن فى هلاك الأمم والجماعات والأفراد بسبب خسران الإيمان.

١٠- من أسباب النجاة من الخسران الإيمان والعمل الصالح، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وفضل الله ومغفرته ورحمته .

١١- من نعم الله على المؤمنين يوم القيامة قولهم : «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يوم القيامة » ، فتزيدهم غبطة وسرورا وحبورا ، وتزيد المجرمين ، غيظا وندامة وحسرة .

١٢- أن القرآن الكريم عرض نماذج من الخاسرين أهلكهم الله ، وفى هذا تسلية للمؤمنين وطمأنينة لهم أن الله منجيهم ، ومهلك المجرمين .

وأوصى بالآتى :

١- تناول الباحثين الأبحاث التى تتعلق بالواقع المعاصر .

٢- انتشار العلماء وسط الناس لتوضيح المفاهيم والقيم القرآنية التى تتعلق بالواقع المعاصر ،وعدم تركهم للإعلام يشكل عقولهم .

٣- تعاون العلماء والمربين والإعلاميين فى سبيل تربية الأمة على القيم والمفاهيم القرآنية.

٤- قيام العلماء والمربين والإعلاميين والأمراء بتربية الأمة على استلهام حل مشاكلها من خلال كتاب الله .

٥- عمل موسوعة علمية مجمعة للتفسير الموضوعى للقرآن الكريم .

٦- عمل موسوعة علمية للسنن الإلهية فى حياة الأمم والجماعات والأفراد.

فهرس المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم .

ثانيا : المراجع والمصادر :

١- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣م.

٣- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون .

٤- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم: أبو السعود محمد بن محمد العمادى (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.

٥- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان ، دار الفكر - بيروت ، لبنان ، ط: الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٦- تفسير السعدى المسمى: تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدى (ت: ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٧- تفسير الطبرى ، المسمى: جامع البيان فى تأويل القرآن؛ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، ط : الأولى،١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٨- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى (ت:

٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٩- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازى الشافعى (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.

١٠- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : الزمخشرى ؛ تحقيق وتعليق محمد مرسى عامر ؛ مراجعة شعبان محمد إسماعيل ، دار المصحف : شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ، ط : الثانية ، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

١١- تفسير الماوردى : المسمى (النكت والعيون) ، أبو الحسن بن محمد الماوردى ، راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ؛ ١٤١٢ - ١٩٩٢م.

١٢- تفسير المنار: محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، ط : الثانية ، بيروت – لبنان .

١٣- تفسير النسفى : المسمى « مدارك التنزيل وحقائق التأويل» ، الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى .

١٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى (ت: ٦٧١)، دار الحديث ، القاهرة، ط ٢ ، ١٤١٦هـ .

١٥- الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى (الداء والدواء): محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله: دار الكتب العلمية - بيروت .

١٦- سنن الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى ، مصطفى الحلبى ، تحقيق : أحمد شاكر ، ط : الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

١٧- صحيح البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار الكتب الحديثة ، عيسى الحلبى ، "بدون تاريخ".

١٨- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيرى (ت: ٢٦١)، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٩- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله ، تحقيق : زكريا على يوسف ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية الدراية فى التفسير: محمد بن على بن محمد الشوكانى (ت:١٢٥٠هـ)، مصطفى البابى الحلبى، ط ٢ ، ١٣٨٣هـ.

٢١- فى ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ.

٢٢- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

٢٣- مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، ط : الأولى ، السعودية .

٢٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٢هـ.

٢٥- المسند : الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت – لبنان ، ط : الرابعة ،١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٦- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهانى ، تحقيق عدنان داوودى، دار القلم- دمشق ،الطبعة الثالثة ،١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٢٧- النهاية فى غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناجى ، المكتبة العلمية بيروت – لبنان .

٢٨- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس : ماجد عرسان الكيلانى ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ط : الثالثة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .